

# مذكرات مختصاتي في الرياض



تأليف

مديحه أبو زيد

المكتبة الثقافية

٤٩٤

# مذكرات أخصائية في الريفا

بقلم  
مديحة أبو زيد



المسئمة للمسئمة المسئمة المسئمة

١٩٩٤

---

## الإخراج الفني : أسامة سعيد

## اهداء

- الى التي ارضعتني من ثديها
  - وكبرت على شاطئ نيلها
  - واكلت من تمر نخيلها
  - تصردت على ما ارق زرعها
- الى مصر

## مقدمة

من منطلق البناء والتعمير فى الريف المصرى • حيث القرية فى أمس الحاجة لسواعد أبنائها القوية وعقولهم المفكرة ومن أجل تنمية المجتمع الريفى حيث توجد جذور المشاكل التى تقف حجرة عثرة فى سبيل الاصلاح الاجتماعى ولمواجهة التخلف الناتج عن الجهل والمرض والأمية • والتغلب عليه بشتى الوسائل •

من أجل ذلك كله خرجت للعمل كإخصائية اجتماعية فى الريف المصرى وكلى طموح فى التغيير لحياة أفضل لهؤلاء الذين قهرتهم البيروقراطية العفنة والروتين المل • تاركة وراء ظهرى مجتمع المدينة الذى يفوق كثيرا المجتمع الريفى من حيث الاصلاح والتنمية •

فالناس فى القرية فى أمس الحاجة الى من يقودهم  
الى النور الذى يكشف لهم أسباب التأخر والجمود .  
وهم فى حاجة أيضا الى من يحرك فيهم الاحساس بمشاكلهم  
حتى يتسنى لهم القدرة على مواجهتها .

فهم طاقة ضخمة صادقة وأمانة على مصالحها ولكن  
ينقصها شىء من التوجيه والمعرفة والامكانيات لكسى  
تنطلق فى مسالك الاصلاح .

وعملية تنمية المجتمع المحلى على جوانب كبير من  
الأهمية لا تقتصر على الجوانب السياسية والدينية  
والاقتصادية فقط ولكنها تهتم أيضا بالجانب الاجتماعى  
الذى هو مرتبط بالكل ويؤثر فيه ويتأثر به .

فالفلاح لا يستطيع أن يفصل نشاطه الزراعى عن  
رفاهيته الاجتماعية . فالعمل الاجتماعى فى القرية لسه  
أهميته ويجب أن تمتد مجهودات الخدمة الاجتماعية الى  
المجتمعات الريفية التى تحتل مساحات كبيرة من مجتمعنا  
المصرى ككل . وتحتاج التنمية فى هذه المجتمعات الى رفع  
مستوى المعيشة لهؤلاء القرويين . وهو واجب مشترك  
بين القادة الاجتماعيين وبين أهالى القرية فتحسين حالة  
المجتمع وحل مشاكله تقع أولا على مسئولية الاخصائيين  
الذين يعملون على خلق الجو الملائم لكى تنشط وتتفاعل  
كل القوى الاصلاحية فى المجتمع القروى واستغلال أقصى

ما تسمح به قدرات ذلك المجتمع وامكانياته فى رفع  
مستواه .

وعلى الاخصائى أن يساعد فى وضع سياسة للإصلاح  
أيضا ويساعد فى التنسيق بين مختلف المستويات ( مستوى  
القرية ) و ( مستوى المدينة ) .

وعليه أيضا - أى الاخصائى - أن يربط القرية  
بمختلف المستويات ويساعد أيضا فى تدعيم الهيئات  
الأهلية التى تخدم المجتمع ، وتشجيع المواطنين على بدء  
خدمات جديدة يحتاجها المجتمع . ويعمل على ازكاء الوعى  
الاجتماعى والانتاجى بين المواطنين عن طريق أساليب  
التوعية المختلفة مع الاستعانة بأجهزة الاعلام . ولذلك  
كله ومن أجل ماسبق أن ذكرته فكرت فى أن أسجل مذكراتى  
عندما عملت كإخصائية اجتماعية فى إحدى القرى  
المصرية ، وقد سردها فى صورة قصصية ، وكنت صادقة  
الى حد ما فى توضيح المعوقات التى تحول دون تحقيق  
الإصلاح فى المجتمع الريفى . وقد استوحيت مادتها من  
خلال عملى فى الوحدة الاجتماعية بقرية البليدة ، مركز  
العياط ، وأيضا من القرى المجاورة والواقعة فى دائرة  
الوحدة الاجتماعية وهى ( منشأة فضل ، العطف ،  
بهييت ) بمركز العياط . ولعلنى أكون قد قدمت رؤية  
اجتماعية صادقة وأمينه عما يحدث من مشاكل تعوق حركة  
الإصلاح فى ريفنا المصرى .

( ١ )

## وكر المتاعب

وقف القطار بعد ساعة ونصف قطعها ببطء من  
المدينة للقريّة التي ساعمل بها . القيت نظرة على المحطة  
ثم وجهت عيني للمزارع والحقول ليس هناك من أثر لأى  
مبنى . فى الطريق وجدت العشرات من الفلاحين يتجهون  
للأرض المنتظرة سواعدهم . نظراتهم القلقة عمقت فى  
نفسى الاحساس بالغربة . تهامسوا كعادة أهل الريف  
عندما يرون غريبا . . .

– يمكن مدرسة جديدة

– ولا ست ضلت الطريق

سالت احدهم وكان يحمل قفصا مملوءا بالجرائد  
والمجلات :

– من فضلك . اين الوحدة الاجتماعية ؟

قال بلهفة وهو يركن العجلة جانبا :

– هل أنت دكتورة جديدة ؟

– لا اخصائية

– طرف سمعان بيه ؟

– نعم رئيس الوحدة التي سأعمل بها

قال وهو يهم بالانصراف :

– أنا موزع الجرائد بالقرية ومستعد لأي طلبات

سألته قبل أن يغادر المكان :

– نسيت تدلني على المبنى

أجاب وهو يشير الى مبنى قديم لا ملامح له :

– هذا هو وكر المتاعب

رن صدى هذه الكلمة فى نافوخي – وكر المتاعب –

ماذا يقصد ؟

تسرب الخوف الى نفسى لكن لا بد من التروى • ألقيت  
نظرة على المبنى العتيق وأنا اغرس قدمي فى مساحات من  
التراب الذى تراكم كتلال بينما كانت هناك أكوام من السباح  
الذى كان على جانبي الطريق وأحيانا فى منتصفها •  
دققت النظر فلم أجد أى أثر يدل عليه • اقتربت أكثر لكن

لم اتمكن من رؤية أى شىء • اقتربت أكثر وأكثر ثم  
ألقيت نظرة فاحصة وبصعوبة تمكنت من قراءة بعض  
الحروف المتناثرة بطريقة فوضوية والتي اذا جمعت بعد  
جهد ففى استطاعة الانسان ان يقرأها بصعوبة • كان  
يكسوها ثوبا رماديا ويبدو للرائى من كثرة ما علاها من  
تراب أنها كتبت منذ آلاف السنين •

ضحكت بسخرية وأنا اهمس لى نفسى :

ـ لاشك أنها تحفة تصلح أن توضع فى معرض  
والشئ الأكثر غرابة عندما وقفت فى فناء الوحدة كانت  
كل الأبواب مغلقة رغم أننا ما زلنا فى وقت العمل

\*\*\*

وأمام أحدها وجدت امرأة ترتدى ثوبا يكشف عن  
بعض مفاتن جسدها • جلست القرفصاء تنظف أوانسى  
الطعام بالتراب ثم تصب عليها الماء من ابريق • وعندما  
لمحتنى اتجهت بسرعة الى أحد الأبواب المغلقة • فتحته ثم  
أغلقتة وراءها وما هى الا دقائق وكانت قبالتى وبصحبته  
رجل بدين يبدو أنه الرئيس • فلقد توقعت ذلك من كثرة  
الحديث عنه فى المديرية •

عادت ذاكرتى للامس القريب عندما كنت أنهى بعض  
الاجراءات الخاصة بنقلى • قال لى المدير العام لحظتها :

- أنت محظوظة لأنك ستعملين مع رجل طيب وذى خلق ومن عائلة كبيرة بل ومن أفضل عائلات المركز يمتلك وحده عشرة أفدنة وسيارة وأكثر من دار ومواشى وطيور وفوق ذلك يفنى حياته فى خدمة الفقراء اقترب منى الرجل . قدمته المرأة وهى تقول :

- سمعان بية . سيادة الرئيس ثم اختفت كلمح البرق .

أصطحبني الى مكتبه . تلك الحجرة الواسعة جدا والتي تبدو فى حجم الفناء الخارجى والذى يتوسط كل مبانى الوحدة . بهرتنى محتوياته . ثريات مضاعة فى وضخ النهار . تابلوهات ثمينة . مقاعد ومناضد وبواليب جديدة وسجاد ..

ناولته جواب نقلى وأنا شاردة . أيقظنى قائلا :

- أهلا بالسنت المشرفة .

- تقصد الاخصائية

لم يهمس بكلمة ثم اقترب منى وسأل ..

- ارفعنى صوتك لأن سمعى ثقيل

قلت لى نفسى بضيق :

- يبدو أن التعامل معه سيصبح عسيرا

\* \* \*

لم يمهلنى حتى ألتقط أنفاسى بعد عناء الطريق •  
صحبينى فى الحال لخارج المكتب ومازلت أحمل حقيبة  
سفرى وقد بدأ الاعياء يسرى فى جسدى ••

قال وهو يشير لأحد المكاتب المغلقة :

— هنا عمل المشرفة الاجتماعية

قلت بانفعال :

لا تلك اهانة

سألنى وهو يقترب منى

— أرجوك • ارفعى صوتك

أجبت به بصوت أكثر ارتفاعا :

— الاختصاصية الاجتماعية لا المشرفة لأن هناك فرقا

هز رأسه مذهشا وهو يشير الى مكان ثان :

— هنا مكتب السكرتير والصراف

همست لى نفسى فى دهشة :

هذا صغير ولا تزيد مساحته عن ربع مساحة مكتبه •

أشار لثالث :

— وهنا مقر مجلس القرية وبه الرئيس والموظفون

وهم ضيوف فى ملكنا ومن حقنا طردهم فى أى لحظة •

كان هناك شباب ذو مظهر أنيق • يقف على عتبة باب  
هذا المكتب • ظل يتابعنا بنظراته ذى كل خطوة يخطوها  
ويبدو أنه شعر بالرتاء لحالى عندما كدت أن أهوى من  
كثرة الاعياء ومن ثم سم بالافتراب سنا وقد امتلات نظراته  
بالغيظ •

قطعت الحديث سبيدة مسنة تحمل أوراقا قائلة :

— سمعان بيه •

لم يلتفت اليها • اقتربت منه أكثر ونادت بصوت  
مرتفع :

— يا سمعان بيه • رد على • انقطع نفسى من  
المشوار

نظر اليها بغيظ بينما الشاب مازال واقفا يتأمل  
ما يحدث بدهشة واشفاق •

اقترب منا قليلا وقال هامسا :

— لا يسمع وبالتالي لن يفعل شيئا وربما يدعى  
الطرش •

سألته بسرور :

— هل تعمل هنا ؟

— أنا مهندس زراعى وحديث التخرج لكنى أمارس

بعض الأعمال الكتابية فى مجلس القرية مما جعلنى أشعر  
باليأس .

اجبته ببسمة أمل :

– وجودك معنا سيخفف من مرارة الأزمة التى بدأت  
فى بداية الطريق .

قال وهو يهم بالانصراف :

– اتمنى لك التوفيق والقدرة على مواجهة التحديات

قلت بنفس مطمئنة :

– مع السلامة يا . . . .

قال وهو يبتسم :

– أحمد

\* \* \*

اقتربت من المرأة المسنة التى لم تجد الا أن تتشاجر  
مع الرئيس وقد انفجرت باكية بينما هو يرمقها بنظرة كراهية  
توقعت أنه سمع ما طلبته وربما سيفكر فى الرد وحل  
المشكلة .

قالت بغیظ . .

– ما يعجبه يسمعه وما لا يعجبه لا يسمعه .

سحبت منها الأوراق ثم قلت لها وانا اربست على  
كتفها ..

• اراك صباح الغد لحل مشكلتك •

لمع بريق الأمل فى عينيها وظلت تمطرني بسيل من  
الدعوات الطيبة ثم سألتنى قبل ان تغادر المكان •

هل أنت الرئيسة الجديدة ؟

• نظر لها المدير بغيظ قائلاً ••

• ماذا تقولين يا عجوز ؟ ارفعى صوتك •

• اقتربت منه أكثر ثم همست فى اذنه ••

• ورب الكعبة أنك لسامعنى •

أشار لى وهو يقول :

• الأبله اخصائية جديدة وستحل لكم كل مشاكلكم

\* \* \*

ظل المدير يشرح لى باقى المبنى فى هذا الفناء المزدحم  
بالأبواب المغلقة حتى كاد التعب أن يخلع قدمى • قال وهو  
يشير الى باقى المكاتب ••

هذه الحجرة المغلقة كانت فى يوم ما مشغلا للفتيات  
ثم توقف العمل بها ومازلنا نبحث عن وسيلة لاعادة

تشغيله ونأمل تعارنك • أما المقابلة لها والمغلقة أيضا كانت  
في يوم ما مسنعا للسجاد اليدوي، ثم توقف العمل به •  
عادت ذاكرتي لالامس القريب ••

تذكرت ذلك المصنع الذى كان يعمل بجدية فى احدى  
القرى التى عملت بها من قبل • بدا كخلية نحل ثم فجأة  
بدا يتسرب بالتدريج ليحدث له عن اوكار فى الحقول  
والمزارع الى أن اختفى منه تماما •

استدعيت بعض اولياء الأمور بعد ما حل الدمار به  
وقلت لهم :

المصنع فى حاجة الى سواعد الأبناء •

قال أحدهم بضيق :

– الأرض فى حاجة أيضا لسواعدهم لترويتها •

لاحقه اخر :

– الأجر الذى يحصل عليه ابنى من عمله فى الخيط  
يفوق بكثير الأجر الذى يحصل عليه من مصنع • اننا  
فقراء •

قلت والأسى يعصرنى :

– السجاد ، الماكينات والبكر والخيط والخامات  
المتجمدة ماذا نفعل بها وما مصيرها ؟

أجابوا فى صوت واحد :

– تروح لأصحابها وتبعد عنا لا هى من ثوبنا ولا أحنا  
من ثوبها .

\* \* \*

قطع شرودى أصوات مشاجرة بين طفلين خرجا من  
باب حجرة واسعة بجوار مصنع السجاد بسبب كرة  
صغيرة قديمة .

صرخ الرئيس فى وجه كليهما :

ادخل انت وهو يا ابن الـ ( ٠٠٠ )

ثم التفت لى وقال وهو يشير الى الأطفال :

– هنا نادى الطفل .

اقبل احدهم وسأله :

– يا استاذ ٠٠٠

– سامى أخذ منى الكرة وضربنى .

لم يهتم الرئيس وواصل الحديث معى :

– بالطبع لا اسمعه . انهم اشقياء وفى حاجة لمشرفة  
قوية والمعلم طلبت أكثر من مرة من المسؤولين بالمديرية لكن  
كانت العقبة دائما شرط الحصول للمتقدمة على الثانوية

العامّة علما بأنه لا يوجد فى قرينتنا كلها ولا فى القرى  
الثلاثة الواقعة فى دائرة الوحدة فتاة أو سيدة تحمل هذا  
المؤهل . .

بل القليل منهن حصلن على الإعدادية .

قلت له بدهشة :

— اعتقد ان اى فتاة حصلت حتى على الابتدائية فى  
امكانها رعاية هؤلاء الاطفال بشرط التدريب والخبرة وقبل  
ذلك حب المهنة .

فجأة فتح باب النادى واذا بى ارى فناء مليئا  
بالتراب وبعض المراجيح المكسورة بينما الأطفال فى حالة  
من الفوضى والاضطراب . اصطحبنى الرئيس وأنا أكاد  
أسقط من الاعياء الى الخلاء حيث الحشائش والأشجار .

كاد الارهاق ان يقتلنى واحسست اننى أهوى على  
الأرض ومن ثم ألقيت بجسدى على بعض الخضرة لكن  
الرئيس كان مصرا على مواصلة السير حتى اتعرف على  
باقى معالم المبنى العتيق . ورغم انه ادرك معاناتى الا انه  
ظل يشرح لى ببرود وهو يشير الى الخضرة :

— يوجد هنا منحلان احدهما ملك الوحدة الاجتماعية  
والآخر يتبع المجلس المحلى . بالطبع لم اكثرث بما يقول  
ولكنه افزعنى عندما اعتدلت فى جلستى لأستريح واسندت  
رأسى على حقيبتى ، وقال بصوت عال :

- لا تجلسى على الجرجير والفجل حتى لا يفسد .
- بعد لحظات أقبل أحد الافسراد وكان يرتدى جلبابا وطاقية وقد امسك بيده آلة وسار فى اتجاه الخضرة .
- قال الرئيس وهو يشير اليه :
- عامل الوحدة • يبدو أنه سيجمع الجرجير .
- همست لنفسى بغیظ :
- اليس من الذوق تاجييل ذلك حتى ارتاح من عناء الطريق ؟
- وبصعوبة حاولت ان أقف وقلت له بصوت مرتفع :
- ارجوك • اين المسكن الخاص بى ؟
- اقترب منى العامل وقال :
- اعذريه يا ابلة • سمعه ثقيل ومريض بالقلب •
- لقد زاد الطين بله • • قلتها هامسة ثم واصلت بتعجب حديثى مع نفسى • •
- ماهى حكاية الجرجير الذى يزرعونه فى أرض المنحل ولصالح من ؟
- اخرجتنى من شرودى طفلة صغيرة • اقتربت من سمعان بيه وقالت وهى تناوله ورقة من فئلة العشرة قروش :

– اعطينى ببريزة جرجير •

اضطرب الرئيس بينما شعر العامل بالخجل والخوف  
وقال :

– ارفعى صوتك يا عفريتة •

اقتربت منه اكثر •

. التفت لى وقال وهو يشير الى العامل :

– غريب مسكين • فى رقبته رزمة عيال لذلك زرع جزءا  
من الأرض خضروات ليزيد دخله • احيانا يقرأ فى المآتم  
والموالد والجبانات ورغم تصرفاته السيئة اعتبره  
( دينامو ) الوحدة وذراعى اليمين •

لم أعد استوعب ما يقول من شدة الألم ومن ثم صرخت  
فى وجهه قائلة : .

– اين مفاتيح الاستراحة ؟

سأل العامل ، وقد احسست انه سسمع ما قلت لكن  
ينقصنى الدليل :

– ماذا تريد يا زفت ؟

– ترغب فى الراحة ياسعادة البيه بعد عذاب السفر •

– طبعا الست ليلى . ضيفة فى بلدنا ولا بد أن نوفر لها  
كل ما ترغب • المفتاح يا غريب مع مقصوف الرقبة الرجل

العجوز على ، غادر غريب المكان ثم عاد بعد قليل بصحبة العامل الثانى الذى كان راكبا دراجة ومعه رزمة من الأوراق والدوسيهات ، قال للرئيس :

– بوسطة المديرية يابيه •

انفعل الرئيس بالغضب وصاح فى وجهه :

– أين مفتاح الاستراحة ياغبى ؟ الست فى حاجة للمراحة •

هرول الرجل الذى تبدو الطيبة فى ملامح وجهه الى مكتب الرئيس الذى رمقه بغیظ ثم عاد فى لمح البرق وهو يقول :

– المفاتيح كانت فى مكتبك يابيه • فى نفس المكان الذى تعودت أن تحفظها فيه • لم يهمس المدير بكلمة بل راح يسرع خطواته الى مكتبه بينما غريب توجه الى أرض المنحل •



حمل العامل حقيبتى ثم اصطحبنى الى السكن • قال اثناء سيرنا ببطء نحو سلم الاستراحة :

– لعل وجودك ياست ليلى يكون بداية خير وتساعدنا فى حل مشاكل كثيرة – معظم الناس هنا فقراء لكن هذا الذى يدعى أنه اطرش ينكر ذلك •

سألته بلهفة :

– هل يدعى فعلا ؟

– نعم يا ست هانم يسمع ما يعجبه ولا يسمع مالا يعجبه .

سألته وأنا أتمايل على السلم وأكاد أهوى .

– أغثنى بالسكن .

قال وهو يفتح باب الاستراحة :

– يوجد شقتان فى نفس المبنى احدهما شستوية والأخرى صيفية ويستعملهما الرئيس فقط ولا احد يجرؤ على الاقتراب من عتبة باب كلا منهما سوى عامل خصوصى وهما مزودتان بأحسن الاثاث حتى التلفزيون الملون يوجد فى كل شقة .

– أما الشقة التى سترتاحين فيها خاصة بالمغتربات اللواتى يأتين للعمل بالوحدة .

القيت بجسدى المنهك على مقعد قديم فى الصالة . وتاملت محتوياتها علنى أجد ما يبعث على الراحة لكن مع الأسف الأسرة قديمة ربما قدم هذا المبنى والفرش غير نظيف وقد علاه التراب . هناك بعض المناضد الخشبية التى

تشببه بنوك ورش النجارة أما المطبخ فقد ازدحم ببعض  
الأدوات القديمة والأواني غير الصالحة للاستعمال .  
سألت العامل بكدر وكان يتأهب لمغادرة المكان :

- هل سيتغير هذا الوضع ؟

أجاب بشيء من المرارة :

- ربما ياست هانم مع ميزانية العام الجديد، وإذا  
وافق المدير .

تعجبت . أى بعد سبعة شهور - شردت قليلا - هنا  
يوجد ثلاث شقق تكاد تكون خالية تماما لأن الرئيس  
لايستعملها سوى أيام قليلة فى الأسبوع فله سكنه الخاص  
فى بيت العائلة . هنا يتوفر السكن وينعدم فى القاهرة  
والمسافة بين هذه القرية والعاصمة لا تزيد عن الساعة  
لو قطعها القطار بسرعة .

لماذا يتمسك الناس بالحياة فى المدينة رغم الضوضاء  
والزحام والغلاء ومتاعب أخرى .

لماذا لا يخرجون للريف حيث الهدوء وجمال الطبيعة  
ووفرة السكن والغذاء أيضا ؟

قطع شرودى العامل وسالنى وهو يغادر الاستراحة .

– اى خدمة ياست هانم

– اشكرك .

– ربنا يجعل الخير على قدومك .

تذكرت اننى نسيت شيئا هاما يفوق رغبتى الملحة للراحة من حيث القيمة وكان وقت العمل على وشك الانتهاء وربما سيوصلنى للحقيقة الغامضة . وفى طريقى لمكتب المدير التقيت بعم على الذى سالنى بدهشة :

– هل تبحثين عن شىء ؟

• أجبته بلهجة سريعة وأنا أسرع الخطى .

– نسيت أن أبلغ الرئيس رسالة هامة .

كان يستعد لمغادرة المكتب بينما وقفت عربته شامخة وقد سدت باب الوحدة وابتلعت مساحة كبيرة من فنائها بينما ساعيه الخصوصى فى انتظاره وقد انتهى من نظافتها . تسرب الاطمئنان الى نفسى عندما لمحت ، وبسرعة البرق قلت له بينما كان مشغولا بالبحث عن بعض الأشياء :

– مدير عام المديرية . . مصطفى بيه يبلغك السلام

ويرغب فى سماع صوتك ولو بالتليفون لشىء هام .

انتفض واقفا وبسرعة • نافشا ريشه كديك رومي معلنا  
انتشاءه وتسربت السعادة الى نفسه ورد على الفور  
وبتلقائية :

– أهلا وسهلا نورت الوحدة والبلد ياست الكل •  
لكن ما لبث ان استيقظ وتلعثم لسانه واصابه زعر • وقفت  
مذهولة ثم قلت له قبل عودتي :

– ازي صحة سعادة البية المدير وخاصة سمعه  
الثقيل •

( ٢ )

## من المسئول

استدعانى الرئيس صباح اليوم المتالى لاستلام  
وقال بارتباك :

— ستعملين فى مجال أسر المجندين •

عصرت ذهنى لأتذكر طبيعة هذا العمل •• بـ  
العميل المجند أى من يعوله بطلب مساعدة تصر  
شهريا طوال فترة التجنيد •

عدت لمكتبى بعد استلام رزمة من الدوسيهات و  
الخاصة بالمجندين لأجد عشرات المستفيدين يجلس  
جهات متفرقة من فناء المبنى وقد تكسوا أمام ا،  
البعض غرق فى تفكير عميق والآخر اندمج فى  
وحكايات • دهشت لهذا الكم الهائل من البشر  
ما الذى جاء بهم فى هذا الصباح الباكر • ربما ،  
دافع قوى •

– ماذا يريدون ؟

صاحت سيدة ترضع طفلها :

– وحياتك يا أبله تركت الطحين في الماكينة وحضرت  
لرابع مرة لكن لا فائدة •

قالت الثانية وهى مسنة كانت تتنفس بصعوبة :

– يا ابنتى أنا من سن جدتك ومريضة بالصدر جئت  
عشرات المرات • على أمل صرف المساعدة يُست وأمرى  
• لله •

شد انتباهى رجل يتوكأ على عصاه •

قال بصوت ضعيف :

– العاهة عجزتتى • أين الرحمة يا مؤمنين ؟

اقتربت منهم أكثر وقلت بأسى :

– أعلم انكم جئتم جميعا وبدون فائده لكن ما السبب ؟

قالوا بصوت واضح كاد أن يهز جدران هذا المبنى

القديسم :

– ربنا يسعدك يا سست ••

لاحقتهم قائلة :

– اسمى ليلسى •

واصلوا بمرارة :

– ربنا يعمر بيتك يا ست الكل تصرفى لنا معاشنا  
الشهر • باق ايام قليلة وينتهى •

– فعلا – اليوم العشرين منه والمفروض أن تصد  
المساعدات فى أول كل شهر وعلى الاكثر من واحد  
خمسة • قطع الحديث صوت المهندس أحمد الذى ت  
كالنسيمة الى أننى وأحسست أننى لست وحدى وس  
هذه الدوامية •

قال بهدوء وهو يقترب منى :

– سمعت مشاكل لا حصر لها وسأطالعك على •  
من الحقيقة وأتمنى أن أكون مخلصا غيورا •  
هزتنى الكلمة الأخيرة وصمت لحظات ••  
– أشرح لى على الفور • أرجوك

– المسئول عن معاناة هؤلاء الذين يأتون بالعنة  
وينتظرون بالساعات على أحر من الجمر للحصول  
القوت الضرورى والذى لا ينالونه الا بعد فرقة مرارتهم  
مندوب الصرف بالوحدة •

سألت بدهشة :

– كيف يحدث هذا ؟

– هذا السكرتير يقيم بالقاهرة ويعمل بأحد  
الشركات فى الفترة المسائية ولا يأتى سوى مسر  
أسبوع •

قطع الحوار صوت الكاتب الذى كان يصرخ فى وجوه  
المنتظرين :

– كل ست وكل رجل يحترم نفسه ويعود لداره • وعلى  
رأى المثل ••

لاحقه الرجل ذو العاهه وقال :

– من خرج من داره قل مقداره •

صاح الكل فى صوت واحد :

– عارفين وحافظين لكنها دارنا ياباشكاتب ولا نموت  
من الجوع •

قال أحمد وهو ينظر لى بمرارة ••

– هكذا يعامل هؤلاء كل مرة بهذا الأسلوب  
بلا رحمة •

صرخت فى وجه الكاتب :

– قبل أن تأمرهم بالانصراف ينبغى أن يعرفوا مواعيد  
الصرف •

ألقى بجسده على أحد المقاعد ، وقال ببرود وهو  
يشير على لافتة معلقة على الحائط :

– ينظرون الى هذه • مدون بها المواعيد الحقيقية  
للصرف •

أجبتة بغيظ :

لاملامح لها • فقد غطى التراب معظم حروف الكلام  
بها بل ومسحت معظمها لأنها قديمة ربما من قدم هذا  
المبنى •

اقترب المهندس منا وقال :

– انا مستعد لكتابة أخرى وبخط واضح بشرط  
معرفة المواعيد الحقيقية لا المضللة •

انفعل شريف ( الكاتب ) بالغضب وقال لأحمد :

– من فضلك لا تدخل فيما لا يعنك • نسيت ان رئيس  
الوحدة حذرك من التدخل فى شئونها • ولا نسيت المثل  
الذى يقول •• ياداخل بين البصلة وقشرتها •••••

صحت فى وجه الكاتب بانفعال وضيق :

– المهندس على حق والمفروض أن ترحب بكل من  
يتعاون لمصلحة العمل • ثم أن المواعيد غير واضحة بالفعل  
ولا يعلمها سوى المندوب الذى يحددها وفقا للمواعيد التى  
تناسبه •

عاد الكاتب لمكتبه بينما انصرف أحمد لانجاز بعض  
أعماله فى المجلس المحلى •

( ٣ )

## معونة الشتاء

ظلت مشاكل المستفيدين تـؤرقنى وتشغل معظم تفكيرى .  
لكن كيف أتصرف وقد طمست الرؤية الضبابية ما بقسى  
من أمل وعندما لم أجد حلا جذريا فكرت فى صرف معونة  
شتاء لهم ورغم أنها مبلغا ضئيلا من المال يصرف دفعة  
واحدة الا أنها ربما سنترك أثرا فى نفوسهم حتى ولو تكفى  
القوت الضرورى فربما تزيح بعض ظلال الحزن التى  
أخفت الضوء عن عيونهم .

بحثت عن الاستثمارات الخاصة بمعونة الشتاء  
لتوزيعها عليهم فى أكثر من مكان بالوحدة فلم أجد . سألت  
الرئيس عن كيفية الحصول عليها أو ربما أجد بعضها فى  
حوزته فقال وقد كشر عن انيابه . .

لاتجهدى نفسك . هؤلاء يتظاهرون أمامك بالفقر

والحقيقة أن كل فلاح يعمل بالزراعة بأجر والفلاحة أحيانا تزرع أو تقفات من تربية الطيور وقد تثرى من بيعها فى السوق والغريب أن دخل كل منهم يفوق ما يحصل عليه أى موظف هنا .

سألته بغيظ :

هل يعمل ذو العاهة أم السيدة المسنة أم الأرملة ذات الأطفال . لقد لمست حالهم وأدركت تماما انهم فى أمس الحاجة للمساعدة .

اجاب بـحرج :

– على أية حال فى امكانى منحك خطابا للجنة معونة الشتاء بالمدينة فربما تجددين بعضها هناك .

– هل يوجد من يحضرها لأننى لا استطيع مغادرة الوحدة نظرا لضغط العمل .

– لا اعتقد نظرا لعدم وجود ميزانية للانتقال .

فكرت فى الحصول عليها عن طريق البريد لكنى خشيت ضياعها فى الطريق أو تأخرها بفعل الروتين الممل كان منظر هؤلاء وأنا عائدة لمكتبى يثير فى نفسى الأسى . هؤلاء الذين يتوافدون كل يوم ويمكثون بالساعات جلوسا على التراب أو هناك حيث سكة القطار فى انتظار الغائب الذى سيعود ذلك المندوب الممل والأمر من ذلك كانوا يأتون حفاة والدموع قد تحجرت فى عيونهم . كل

ذلك حرك فى نفسى الرغبة الملحة فى أن أفعل شيئاً من أجلهم . وقررت بالفعل أن أذهب بنفسى الى مقر اللجنة الفرعية لمعونة الشتاء هذا الصباح والعودة قبل نهاية وقت العمل .

وبينما أفتاد باب الوحدة اذا بى وجهها لوجهه بالمهندس أحمد الذى لفت انتباهى لما يحدث على الطريق الزراعى وعلى بعد خطوات قليلة من المبنى العتيق .

\* \* \*

كان غريب دينامو الوحدة - كما كان يسميه الرئيس - مرتبكا وبصحبتة بعض المستفيدين . يعطى كل منهم ورقة مقابل مبلغا من المال . تسرب الشك الى نفسى واقتربت منه بسرعة . لحق بى أحمد ، سألته بذهول عما يحدث فأجاب بقلق وضيق :

- هذا العامل يقف دائما فى وقت مبكر ويبيع استثمارات معونة الشتاء للمستفيدين بأضعاف ثمنها الأسمى أى أربعة أو خمس مرات على الأقل .

يعنى هذا أن الاستثمارة التى ثمنها خمسة قروش يبيعهها بخمسة وعشرين قرشا . من أين يدفع هؤلاء .

ان البعض منهم يأتى سيرا على الأقدام لأنهم لا يملكون أجر ( التايوتا ) لكن كيف الخلاص .

قطع أحمد حديثي مع نفسي قائلاً :

– أتوقع أن الخلاص سيأتي على يديك وستحل معظم هذه المشاكل بفضل قلبك الطيب وحرصك على مصلحة العمل ، لقد كدت أن أفقد الأمل في أى شيء لكن السماء ارادت أن تمطرنا بما يغسل الألم وينقى الضمير مما علاه من تراب .

– لا أستطيع وحدي فالتغيير للأفضل في حاجة دائماً ليد الجماعة القوية وخصوصاً اذا كنا نأمل في التغيير الجذري .

– سنظل معك بقلوبنا وفكرنا وسواعدنا . وأنا شخصياً على أتم استعداد للعطاء بكل ما أملك .  
لكن كيف يحدث هذا في وضع النهار ؟  
أجاب المهندس بمرارة :

– الكل هنا يعرف جيداً كل صغيرة وكبيرة ولا أحد يجرؤ على الكلام .



حاول غريب الهروب عندما استدعيته بحجة قضاء بعض حاجيات الوحدة لكنني حاولت أكثر من مرة حتى حضر مع بعض المستفيدين المخدوعين وبمواجهة غريب

بما ارتكبت من جرائم فى حق العمل • حاول الانكسار فى  
البداية ، ثم قال بعد جدل وبخوف :

– الحاجة تبرر الوسيلة يا ست ليلى •

أجبتة بغضب وانفعال :

هل تجرؤ على الكلام بهذه اللهجة؟! ان ماتفعله كاف  
لفصلك •

قال بخبث وخضوع :

– كما ترغبين ياست هانم • ابنائى وحرمانا امانة فى رقبة  
سيادتك • ولا تنسى اننى انفق الكثير من مالى وجهدى  
للحصول على هذه الأوراق وان المبالغ التى أجمعها لاتغطى  
حتى نفقات التكلفة •

تذكرت على الفور كلام الرئيس •• ( لا يوجد من يقوم  
بهذه المهمة لعدم وجود بدل سفر ) •

لكن هذا لايبير فعلته الملا انسانية فهناك عشرات  
الطرق للكسب المشروع •

سألت أحد المستفيدين وكان قد اخفى الاستثمار فى  
جيبه السحري لجلبابه والذى يطلق عليه ( السيادة ) :

– هل يبيع لك غريب الاستثمار بأضعاف الثمن  
الأصلى؟

حاول الانكار فى بداية الأمر وعندما اعدت السؤال  
مرات وحذرتة من الكذب وأن هناك عقابا ينتظره اذا ضلل  
الحقيقة ، قال بخوف :

– نحن فقراء ولا حول لنا ولا قوة والاعتراف ليس فى  
صالحنا وسيحرمنا من قوت أولادنا الذى نحصل عليه  
بطلوع الروح •

– أنا المسئولة من الآن عن هذه المساعدات ولن  
تخرج من مكتبى اية استمارة الا للضرورة ولن يستحقها  
بالفعل •

سألنى مستفيد آخر ببسمة أمل :

– هل انت الرئيسة الجديدة ؟

– فى امكانك أن تعتبرنى كذلك •

قال المستفيدون فى صوت واحد :

– نتمنى ياست هانم أن تمسكى الوحدة وتخلصينا  
من الظلم •

كان أحمد مازال يقف بجوارى ويتأمل فى صمت بينما  
رحت أهمس لنفسى ••

– انها فعلا فى أمس الحاجة للتغيير الجذرى لكن هل  
فى امكان الحق والخير أن يسودا • لا شك أن عمرهما

قصير الا اذا اصبح هناك صوت قوى نابع من ضمير وروح الجماعة ومن روح تلك الأرض الطيبة التى لا يعرف زرعها ولا طميتها ولا نهرها الشر • ولا أشجارها المخضرة وطيورها المغردة التى أستيقظ على صوتها كل صباح • تلك الأرض لا تعرف سوى الحق والخير والجمال •

أخرجنى أحمد من شرودى قائلًا :

— أنا هنا ستجدينى دائما المرأة التى ترين فيها بعينيك كل ما يخفيه ارباب الثرويدنا فى يدك لذروى البذور وحتى تنبت وتطرح ثمارا ناضجة •

— هل أصبحت شاعرا ؟

— عندما رأيتك تفجرت بأعماقى ينابيع فياضة فهل لك من رعايتها حتى لا تجف •  
— الله يرعانا جميعا •

سحبت من غريب ما بقى معه من استثمارات ونقود وأعدت بعضها لأصحابها بقدر استطاعتى ثم حذرته من العودة لمثل هذه التصرفات التى قد تؤدى به الى الهلاك والا سأضطر لأسفة التحقيق معه مع بعض المسئولين •  
اقترب منى وهم بتقبيل يدي وقال وهو يبكى :

— أشكرك يا ست ليلى لكن أكل العيش مر •

— الأمر منه مص دم الفقراء •

كان عدد الاستثمارات التى حصلت عليها من غريب أقل بكثير من عدد المستفيدين الذين فى أمس الحاجة للمساعدة الفورية وقد انتشروا أمام مكتبى بمجرد سماع نبا ورود استثمارات :

سألنى المهندس بدهشة :

– ماذا ستفعلين بهذا العدد القليل ؟

– سأل بعض المشاكل الملحة واختار الأكثر احتياجا من المستفيدين وفى نفس الوقت سأفكر فى زياده لمقر اللجنة .

– هل تقبلين أن أقوم بهذه المهمة ؟

– اشكرك فالخطاب الذى حرره الرئيس باسمى ولا داعى للحرج .

استأذن أحمد بالانصراف بعدما استدعاه رئيس المجلس المحلى . بينما رحلت أوصل الاجابة عن استفسارات المستفيدين الذين التفوا حولى بالعشرات . كل يطلب بحثا مستعجلا – حاولت اقناعهم بأن ما معى من استثمارات قليل ولا يكفى سوى الحالات الملحة جدا . سدت أصواتهم اذانى واصابتى بحالة من التوتر – أخرجنى من قسوة هذا الزحام بعض عمال الوحدة وهم يحملون لفائف سميكة من الورق قد أحضروها من سكن الوحدة الاجتماعية الخاص بالرئيس ثم راحوا يلقونها فى عربته الخاصة .

سألت العامل على الذى كان يقف بجوارى ويتأمل  
مثلى ما يدور فى دهشة :

– ما هذا الذى يحدث ولا نعلم عنه شيئاً ؟

– معونة شتاء عينية وهى بقايا الملابس التى كانت  
بالمخزن منذ فترة طويلة وقد آن الاوان لتخرج لمصيرها

– الى أين سيذهبون بها ؟

– لأصحاب نصيبها • تلك أوامر سمعان بيه •

– اعتقد انها ينبغى ان توزع على الفقراء الذين هم  
أحق بها من غيرهم وبعضهم أمامى الآن والاختصاصية هى  
الوحيدة والقادرة على بحث أحوالهم وتقدير من له الحق  
فيها •

تذكرت الأرملة الشابة التى زارتنى فى المكتب منذ  
أيام وكانت تحمل طفلاً يرتدى ملابس رثة فى عز الشتاء  
سألتنى والحزن فى عينيها •

– والنبي ياست هانم يا أميرة أنا محتاجة جلابية  
لابنى الرضيع ؟

قطع حديثى مع نفسى العامل الطيب سيد وقال :

– لا تتعبى نفسك يا ست ليلى • الأمور هنا تسير على  
هذا المنوال منذ سنين طويلة أى من بداية سيطرة الرئيس •

( ٤ )

## مندوب الصرف

ظلت تؤرقنى حالات المستفيدين الملحة ومن ثم كرست جهدى فى الأبحاث الخاصة بهم لصرف معونة الشتاء مع مراعاة الأولوية فى المساعدة لمن هم فى أمس الحاجة لها . وعندما انتهيت من ملء الاستثمارات لم يبق سوى سسجل تبادل المعلومات لمعرفة ما اذا كانت المستفيدة تحصل على مبالغ من جهة أخرى أم لا وهذا يتطلب زيارة الى مقر السجل . فكرت فى ارسالها بالبريد لكننى خشيت ضياعها أو تعطيلها دار فى ذهنى محاولة ارسالها مع المهندس أحمد . لكننى تراجعت فربما يسبب له ذلك بعض المشاكل مع المسئولين . انتابنى القلق عندما وجدت نفسى حائرة وقد سدت أمامى كل الطرق الموصلة للحل ولم يبق سوى طريق واحد وعلى أن أسلكه ومن ثم حملت الاستثمارات

استعدادا للسفر . اوقفنى عم على ، وقال بينما أغانر  
باب الوحدة :

– مندوب الصرف وصل وسيغانر المكان بعد قليل  
ليلحق بالقطار الذى سيقلع فى العاشرة فاليوم مواعيد  
محاضراته بالمعهد ويسأل ان كنت فى حاجة اليه .  
أجبتة بغيظ :

– مضى على وجودى بالوحدة ما يقرب من شهرين  
ولم أره سوى أيام قليلة وفى كل مرة يمكث ساعة على  
الأكثر أعتقد أن عمدة القرية لا ينال مثلما ينال هذا الموظف  
من حرية وليس ببعيد ان تكون هذه الوحدة احدى اقطاعياته  
دون علمى والشئ الأغرب من الخيال . ان الرئيس  
لا يحاسبه أو يعاقبه رغم علمه بنتائج تأخيره السيئة .  
قال العامل فى أسى :

– الأمر لله يا ست ليلى .

– اقترب الصراف فى خشوع وقال :

– أسف لتأخيري . الظروف أقوى من ارادتى .

سألته بغيظ :

– وهؤلاء الذين يتكدسون بالعشرات فى فناء الوحدة  
يوميأ لصرف قوتهم الضرورى . لمن يلجئون ؟ انهم

ينتظرون كل صباح الغائب الذى يحلمون بقدمه على بساط  
الريح أو الفارس المهام كعنتره لينتشلمهم من الضياع .

أجاب باضطراب :

— لم أكن وحدى المسئول فعدم وصول الشيك فى  
المواعيد المتفق عليها هو السبب وقد استلمته اليوم فقط  
وسأصرفه غدا أو بعد غد وفى خلال وقت قصير سيكون  
كل شىء على مايرام حتى لو كلفنى ذلك زيارتهم فى  
البيوت وتسليم المبالغ المستحقة بنفسى ، وهذا ما أفعله فى  
معظم الحالات .

— هل تعلم انهم ينفقون ما يقرب من نصف ما يحصلون  
عليه فى الانتقالات لأنهم لا يعرفون مواعيد الصرف  
الحقيقية .

قطع الحديث عم على وقال :

— فى امكانك الاعتماد عليه فى استعمال السجل لأنه  
المسئول الوحيد هنا عن انهاء كل أعمال الوحدة  
بالمديرية . فكرت فى هذا التحل لكنى خشيت ان يغيب لفترة  
طويلة ويميل المستفيدون من طول الانتظار أو يرهقون ماديا  
وجسمانيا من كثرة التردد على الوحدة وأصبح المسئولة  
أمامهم .

قال المندوب بخبث :

— أنا فى خدمتك وسوف أحضر غدا أو بعد غد على الأكثر ومعنى فلوس المستفيدين .

استسلمت للأمر الواقع لأننى لم أجد بديلا لكن الخوف كان يسرى فى نفسى بالتدريج ربما من المصير المجهول وكانت يدي ترتعد وأنا اسلمه الأوراق . .

\* \* \*

الأيام تمضى وأنا انتظر بفارغ الصبر . مر أسبوع بل وأكثر ولم يأت الصراف بينما الرئيس يوقع له فى سجل الحضور وعندما اتمرد على مايفعله يرد فى غضب :

— مسكين هذا الموظف طالب بالمعهد ويكافح من أجل أن تعيش أسرته فهو عائلها الوحيد بالاضافة الى أنه يقوم بكل أعمال الوحدة الخارجية . الشيء الذى يحيرنى . تعاطف الرئيس مع المندوب والعطف عليه وعدم ايدائه هل هذا من باب الاشفاق عليه نظرا لظروفه الغير عادية أم هناك أسباب أخرى .

تذكرت حكاية الأرملة التى جاءتنى ذات صباح واشتكت بأنها لم تصرف معاشها بالكامل هذا الشهر فلقد خصم منها الصراف ربع المعاش اثناء زيارته لدارها بينما كانت مريضة وعندما سألته عن سبب الخصم رغم انها وقعت على صرف المبلغ كله ، قال لها بعنف :

– الا تقدرين المشوار الصعب الذى أقطعه من الوحدة  
لدارك والمصاريف التى اتحملها • قالت له والدموع فى  
عينها :

– يا ابنى المساعدة قليلة – سبعة جنيهات – وأنا  
ارملة ومسننة مثل جدتك ومريضة •

اجابها بغضب وهو يغادر الدار •• ( لماذا تنكرون  
الخير ولا تحمدون الخالق ) •

بالمطبع الرئيس يعلم هذا جيدا لكن هل يساومه •  
لا اعتقد لأنه ليس بحاجة لمثل هذه المبالغ الضئيلة ربما  
يشفق عليه •

ظل المستفيديون يتوافدون على مكتبى بالعشرات طوال  
ايام غياب المندوب معتقدين أننى قد احضرت الفلوس •  
يسألون ويلحون حتى اصرف لهم من الخزينة • ولم  
اجد الا ان الزم الصمت لأننى لم أجد اجابة مقنعة تبرر  
التأخير •

مر ما يقرب من اسبوعين على غياب الصراف ولاحس  
ولا خبر عنه لدرجة أننى فكرت فى زيارة لمركز الاستعلامات  
الخاصة بسجل تبادل المعلومات لأننى أصبحت مسئولة  
أمام المستفيدين وفوق ذلك حاجتهم الملحة والتى كانت  
دائما تشعرنى بالذنب وقررت بالفعل التنفيذ خلال يومين  
على الأكثر وحتى أنهى بعض الأعمال المستعجلة •

وفى صباح اليوم الذى عزمتم السفر جاءنى عم  
على وقال بسرور :

— المذوب وصل ياست ليلى وفى امكانك رؤيته من  
شباك المكتب المطل على الطريق الزراعى .

خفت حدة القلق فى نفسى وعاد الدم يسرى فى  
عروقى لكننى كنت أشعر بالخوف . وفى لمح البرق اسرعت  
نحو النافذة وتأملت بعمق هذا المشهد الغريب من خلال  
تلك الفتحة التى كانت تكشف بوضوح ما يدور على سكة  
القطار . .

وقف المصراف وهو يحمل حقيبتة ( السمسونايت ) بين  
عشرات المستفيدين الذين التفوا حوله من كل الاتجاهات  
وبمجرد مغادرته القطار . كانوا ينتظرونه منذ الصباح  
الباكر وربما من أذان الفجر . كادت الدهشة أن تعينى  
بحالة من الغيبوبة . فلا شك أن أحد أعضاء مجلس الشعب  
لن يحظى بمثل هذه الجماهيرية .

وهم مضطرون لذلك فالحاجة تولد الشعور .

تنفست بارتياح عندما لمحت لفافه من الورق فى يده  
وانتظرت حتى اقترب من باب الوحدة وبسرعة جريت نحوه  
فى لهفه وسألته على الفور :

— اعتقد أنك قمت بالواجب مشكورا .

فتح اللفافة بيد ترتعد ارتعد معها قلبي وقال ببرود :  
- آسف يا أبله سقطت الأوراق مني سهوا اثناء سقوط  
المطر .

جمدتنى الدهشة وكدت أن ابصق فى وجهه وخاصة  
عندما اكتشفت أن مجهود أيام مضية ماطخا بالطين وقد  
تسرب اليها جميعا بحيث لم تعد ولا استمارة تصلح  
للاستعمال .

صرخت فى وجهه :

- أنا المسئولة لأننى سلمت أصحاب المصلحة من  
الفقراء لموظف غير أمين .

أجاب فى خضوع وقد نكس رأسه :

- شىء خارج عن ارادتى وليس فى امكانى اصلاح  
ما افسده الطقس .

قلت له فى غيظ :

- ماذا كنت ستفعل لو ان تكشف الماهيات أصبح لها  
نفس المصير ؟

رد بوقاحة :

- هل تقصدين أننى نعمدت ذلك ؟

- بالطبع أشك فى ذلك .

قال بلا مبالاه وفى ثقة :

– انك تبذلين جهدا شاقا من أجل الحصول على  
ملاليم يأخذها المستفيد بعد أن يكون قد أنفق أضعافها •

أجبتة بنفس اللهجة :

– لا بد أن يشعر الفقير أننا نفعل من أجله شيئا ثم  
من أدراك أنها ملاليم •

– أنا متخصص فى تحرير استمارات معونة الشتاء  
والمساعدات •

– ليست غلطتك والمسئول عن هذه المهزلة هم  
هؤلاء الذين حملوك مسئولية لست أهلا لها وذلك لتعبث  
بقوت الفقراء •

كشتر عن أنيابه وغللى الدم فى عروقه واقترب منسى  
وكانما يهم بضربى لكنه تمكن من ضبط انفعالاته • وتراجع  
فى غيظ وهو يقول :

– أنا فى أجازة مرضية من الغد •

( ٥ )

## الاجتماع

ذات صباح بينما كنت مشغولة ببعض الأبحاث قال  
لى رئيس المجلس ..

— لا تنسى اجتماع اللجنة التنفيذية للمجلس ظهر  
اليوم .

سألته بشغف ..

— اعطينى فكرة عنه .

— تعقد تلك الجلسة لدراسة مشاكل الفلاحين ووضع  
الحلول المناسبة واعتقد أن وجودك هام لأنك الاخصائية  
الوحيدة فى المبنى كله .

قلت له وأنا اجمع بعض الأوراق المتناثرة على  
المكتب :

– هل يعقد بصفة دورية ؟ وأين ؟ ومن الذى سيشارك فيه ؟

– يعقد الاجتماع بمعدل مرة كل أسبوع ويشترك بالرائى مندوبون عن الأجهزة الحيوية بالقرية . رئيس المجلس المحلى ، أحد أعضاء المجلس عن كل قرية تابعة للوحدة الاجتماعية ثم رئيس الجمعية الزراعية وطبيب الوحدة الصحية ، ورئيس بنك القرية ثم ممثل الوحدة الاجتماعية وعادة يشارك الرئيس سمعان ثم مسئول تنظيم الأسرة ورئيس جمعية تنمية المجتمع المحلى والعمدة .

– ما قيمة وجودى اذا كان رئيس الوحدة يشارك ويكفى ممثل واحد عن الجهاز .

رد على الفور وبحماس قبل أن يغادر المكتب :

– نحن فى أمس الحاجة لوجود العنصر النسائى وثقتى فىك كبيرة . فلقد لست فىك الحماس للعمل ورعاية مصالح المستفيدين بأمانة وحب الخير للناس . والرغبة فى العطاء لاقصى الحدود وأمل الا تتخلفى .

• جان ميعاد الاجتماع • وضعت منضدة قديمة فى فناء الوحدة وبعض المقاعد التى اجضرها العمال من مخزن الكهن الخاص بالوحدة الاجتماعية ويقال أنه كان فى يوم ما مسرحا للفلاحين تعرض عليه بعض المسرحيات الهادفة والتى يشاهدها المئات من المتفرجين .

ظل الاعضاء يتوافقون الواحد تلو الآخر ، لكن عددهم كان أقل بكثير من هؤلاء الذين حدثنى عنهم الرئيس فى بداية الاجتماع قدمنى رئيس المجلس قائلاً :

– الأستاذة لىلى الاخصائية بالوحدة الاجتماعية نرحب بها لأول مرة وأملنا فيها كبير .  
قال مسئول تنظيم الاسرة :

– فى الحقيقة اننا فى أمس الحاجة لتنشيط المشروعات الحيوية للمرأة الريفية .

لقى رئيس المجلس كلمة قال فيها :

– سبق ان أشرنا أكثر من مرة الى الموضوعات الحيوية والتي يجب ان توضع فى مرحلة التنفيذ وسبق ان نوهت الى ان المجلس يملك من المال ما يعطى اى مشروع يعود بالفائدة على الفلاحين بشرط أن يكون مشروعاً إنتاجياً كما سبق أن اقترح البعض فى الاجتماعات السابقة انشاء ثلاجة بطاطس . وتعد من أهم المشروعات الحيوية للقريه وخصوصا قريتنا والقرى المجاورة لها والتي تنتج محصول البطاطس بوفرة ويفيض عن الاستهلاك فلا بد من وجودها لحماية المحصول من التلف .

قطع الحديث رئيس الوحدة الاجتماعية قائلاً :

– لا تنس مشروع تسمين العجول .

عقب مسئول تنظيم الأسرة بقوله :

— هذه مشروعات لا بأس بها ويا حبذا لو شقت طريقها للنور فسوف تحل الكثير من المشكلات .  
واصل رئيس المجلس حديثه :

— مثل هذه المشروعات على جانب كبير من الأهمية لكن مع الأسف تطرحونها فى كل اجتماع للمناقشة وتخرجون بتوصيات واقتراحات لدرجة اننى أعتقد انها قتلت بحثا ، أما ان تأخذ طريقها للتنفيذ او يصرف النظر عنها وكنت اتوقع فى هذا اليوم أن يقدم أحدكم دراسة مستوفاة للمشروع المقترح وكيفية تنفيذه وما على الا أن اعتمد الميزانية وذلك بعد الموافقة بالاجماع . .

قال أحد الأعضاء :

— بالنسبة لثلاجة البطاطس اقترح أن نقيمها على الطريق الزراعى لقرية البليده لأنها قريبة من العمران وبها مقر الوحدة والمجلس .

رد البعض بحماس :

— ولماذا لا يكون مقرها فى قرينتا ففيها الجمعية الزراعية ونقطة المبوليس وهى قرية منشأة فضل . علما بأن المسافة بينها وبين البلدة قصيرة جدا .

عقب مندوب تنظيم الأسرة بضيق وقال :

– هنا ام هناك • المهم أن تستقروا على المكان وتوافقوني  
بدراسة علمية للمشروع فى الاجتماع القادم •

بعض الأعضاء، لزموا الصمت بينما البعض الآخر  
انشغل بالأحاديث الجانبية مما أدى الى اشاعة الفوضى •

وكان من بينهم سمعان بيه الذى اندمج فى الكلام مع  
العمدة مما أدى الى شعور رئيس المجلس بالضيق ، وقال  
على الفور موجهها كلامه لهما :

– نرجو المحافظة على النظام •

رد رئيس الوحدة بانفعال :

– حديثنا لم يخرج عن جوهر الاجتماع • كنا نواصل  
الكلام حول مشروع تسمين العجول •

اضاف مسئول تنظيم الأسرة :

– علينا اتباع الاسلوب الديمقراطى فى الحديث  
وتكون المناقشة فى أى مشروع على الملأ •

أجاب سمعان بيه بينما انفعال العمدة بالغضب :

– بالنسبة لمشروع تسمين العجول • فلقد اتفقت مع  
رئيس جمعية تنمية المجتمع بالقرية • جناب العمدة •  
ورئيس الجمعية الزراعية وهو غائب عن مجلسنا ولعل

المانع يكون خيرا ووضعنا خطة تدرس حاليا وبمجرد  
الانتهاء منها وفحصها جيدا سنقدمها فى الاجتماع  
القادم .

قطع الحديث رجل مسن موجهها كلامه لرئيس الوحدة  
وقد أمسك ورقة وقال :

– يا بيه انهد حيلى فى مشاوير الجمعية الزراعية  
لختم طلب الحيازة لكن فى كل مرة يقولون . . الرئيس فى  
اجتماع مهم . كان على بعد خطوات قليلة المهندس أحمد .  
تقدم على الفور ببديله الأنيقة وسامته النادرة واكمل  
وهو يتأملنى بشوق هذا الرجل العجوز جاء أكثر من  
مرة لاستكمال أوراق المساعدة وهم يعلمون جيدا وأعتقد  
أنه أن الاوان ليتحرر هؤلاء مما وقع عليهم من ظلم .

قلت هامسة :

– لماذا لا يشاركنا أحمد فى الاجتماع فهو شباب  
متحمس للعمل وطموح ويسعى دائما للخير لكن ليس الأمر  
بيدى رد رئيس الوحدة الاجتماعية على الفور بغیظ . .

– سبق أن نبهتك يا باشمهندس بعدم التدخل فى شئون  
الوحدة . فهذا ليس من اختصاصك .

انفعل رئيس المجلس بالغضب وهم بأن يحاسب أحمد  
بانفعال ولكنى لاحقته قائلة :

– الأستاذ أحمد لم يخطيء بل ما يفعله هو عين الصواب فهو ينبهنا لما يحدث من تكاسل فى العمل واهمال ولاشك اننا فى أمس الحاجة لمثل هذه الروح الطيبة •

قال مسئول تنظيم الاسرة :

– نأمل مشاركته فى الاجتماعات القادمة فلاشك أنه شاب كفء وسيعطينا الكثير •

كان لهذا الكلام تأثير سيء على نفس سمعان بييه فراح يصارع غيظه بينما لزم رئيس المجلس الصمت •

رن جرس التليفون فى المجلس المحلى فاستأذن أحمد فى الانصراف بينما سأل رئيس المجلس موجهها كلامه لى ••

– هل الاستاذة لديها اقتراحات ؟

أجبت ونظراتى ما زالت تلاحق أحمد :

– أعتقد ان الوحدة الاجتماعية فى حاجة ملحة لرائدة ريفية لكل قرية تابعة لها ومشغل للفتيات ومحو أمية ونادى ثقافى للطفل وايضا تطوير دار الحضانه الموجودة حاليا بمقر الوحدة لأنها بالشكل الحالى لا تصلح مطلقا لاستقبال الأطفال • وأنا على أتم استعداد لعمل التوعية الكافية من اليوم خصوصا لمشروع الرائدة لأن عملها حيوى وهام فعلى عانتها التوعية للنظافة وطرق الوقاية

من الامراض ومحو الأمية والنادى النسائي لتعليم الفلاحات  
كيفية عمل الحلوى واشغال الابرة والتدبير المنزلى .

رد رئيس المجلس مسرورا :

هذا هو عين الصواب .

قطع الحديث العمدة وقال موجهها كلامه لرئيس  
المجلس :

– لا تنس وقت الاجتماع .

قال الرئيس للجميع :

– أفادكم الله ونرجو في الاجتماع القادم الا تنسوا  
ما اتفقنا عليه .

( ٦ )

## رأى المدير

عندما رآنى المدير وكان مشغولا فى البحث عن بعض الأوراق فى الملفات القديمة • ألقى بها بسرعة فى درج مكتبه وأحكم الاغلاق ثم سألنى بخوف :

— هل ضايقتك أحد المستفيدين ولا مقصوف الرقبة غريب رفض تلبية رغباتك • هو عنيد ولكن اطمئننى سأكسر دماغه •

أجبتة على الفور بدهشة :

— لا هذا ولا ذاك ولكن جئت لمعرفة رأيك حول المشروعات التى كلفنى بها المجلس فى الاجتماع الأخير  
قال بلا مبالاة :

— لا تشغلى بالك وكل شىء سيتم فى الوقت المناسب •

أجبتة بانفعال :

– كيف وقد مضت بضعة أيام ولم يتم تنفيذ أى شىء  
ثم أن بعض القرويات يترددن على مكتبى بصفة دائمة  
للسؤال عن هذه المشروعات ويرغبن فى الالتحاق بالعمل  
فيها .

قال بلهجة سريعة وهو يضع مفتاح الدرج فى مكتبه  
وقد اطمأن بعض الشىء :

– بالنسبة لمشروع محو الأمية فقد أرسلنا للمديرية  
منذ بضعة شهور برغبتنا فى تشغيله وأرسلت مبلغا من  
المال وتم التشغيل لفترة وخرجنا دفعة من الفلاحين الذين  
حصلوا على شهادات اتمام الدورة ثم أغلق بعدما صرفنا  
آخر قرش كان معنا . أما مشغل الفتيات فقد انفقت كل  
ميزانيته فى شراء الماكينات والخامات وهى بالمخازن حاليا  
ولا ينقصنا سوى المدرسة والبنات للتعليم . أما النادى  
النسائى ففى امكاننا تشغيله فى مقر المشغل وذلك فى الفترة  
المسائية وغالبا لا نجد من القرويات من تهتم بالمشاركة فى  
العمل لأن كلا منهن مشغولة باعداد العشاء لزوجها العائد  
من الحقل بعد تعب طول النهار .

أجبتة بنغيظ :

لكن بعض القرويات يسألن عن النادى ولديهن الرغبة  
فى تعلم كيفية عمل الحلوى والمربات وأشغال الابرة ،

لا تشغلى بالك فهن قلة ومن ترغب فى ذلك اما طالبة ولديها وقت فراغ فى الاجازة او ارملة تشعر بالوحدة أو ما شابه ذلك .

قلت له وأنا أتأهب للانصراف :

- اذن على أن أكرس جهدى فى مشروع الرائدة الريفية .

رد بتحد وانفعال :

- يكون فى علمك أنه لا توجد أجور لأية مدرسة سواء للمشغل أو النادى النسائى أو محو الأمية . ثم أننى تفرغت لمشروع كبير سيخدم القرية كلها ووقتي لا يتسع لمباشرة مشروعات لاتعود بالذفع على أهل البلدة .

أجبتة بسخرية :

- اعتقد أنه مشروع تسمين العجول .

ما رأيك . . . اعتقد أنه من احسن المشاريع وأهمها . . .

على اية حال هذا يكفى لأن سيادتك ورئيس جمعية تنمية المجتمع وحضرة العمدة فى حاجة الى الريح الوفير لكن لماذا لم تتبن أيضا مشروع ثلاجة البطاطس وهو حيوى وهام للفلاحين وسيخدم أكثر من قرية هذا بالإضافة

الى أنه احتل مكانة مرموقة فى اجتماعات المجلس ودارت  
حولها مناقشات عديدة .

قال وهو يعتدل فى جلسته :

– الشركاء كثيرون ولا احب المشاكل ثم ان هذا  
المشروع من الصعب تنفيذه لعدم وجود مساحة واسعة  
تقام فيها الثلاجة . ثم من أعضاء المجلس سيترك  
ويتبرع بقطعة أرض من أملاكه لصالح المشروع ؟

قطع الحديث غريب الذى جاء مهرولا ليقول للرئيس  
بلهجة سريعة ..

حضرة العمدة فى انتظار سعادتك بخصوص العجول  
ويذكرك بأن الغدا فى الدوار اليوم .

انتفض الرئيس واقفا على الفور ثم أجاب بانفعال :

– امش بسرعة وقل له ..

– حالا ساكون فى الدوار .

ثم التفت لى وواصل الحديث :

– فى امكانك ان تدخل معنا كشريك فى المشروع .

اجبته بانفعال وغضب :

– يكفينى مشروع الرائدة الريفية فنجاحه سيكون له

تأثير بعيد المدى على الفلاحين .

هم الرئيس بمغادرة المكتب • لحقت به وسألته :

— نسيت أن أسألك عن امكانيات الوحدة والجمعية  
لعمل الدعاية اللازمة لمشروع الرائدة لأننا فى حاجة الى  
ورق اعلانات وألوان وغيره •

قال بلا مبالاة دون أن يلتفت لى :

— ليس لدينا امكانيات للدعاية لا فى الوحدة ولا فى  
الجمعية • ثم ان مثل هذه المتطلبات البسيطة فى الامكان  
تنفيذها بالجهود الذاتية •

( ٧ )

## الرائدة الريفية

أدركت أنه لا ينبغي الاعتماد على أحد من المسؤولين فى التوعية او انشاء مثل هذه المشروعات الحيوية كالرائدة الريفية وغيرها ولذلك لابد من الاعتماد على نفسى وبالفعل بدأت فى التوعية لمشروع الرائدة الذى سيخدم القرية كلها فى كافة المجالات ، فالرائدة هى حلقة الوصل بين الفلاحين وبين سائر الأجهزة الصحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما أنها تتحمل العبء الكبير فى التوعية للنظافة ومحو الأمية والنادى النسائى ومشغل الفتيات ونادى الطفل وغيرها وتقوم أيضا بفحص المشاكل الأسرية ومحاولة حلها بمعرفة المجالس العرفية بالقرية ، ولذلك لابد من حسن اختيارها فهى ليست كأية ريفية بل تكون على درجة عالية من التعليم والوعى بما يدور حولها وتلم

بكل صغيرة وكبيرة فى البلدة التى ستمثلها وتمتلك القدرة  
على الحوار واقناع الناس بما يعود عليهم بالفائدة .

أخرجنى من نهر أفكارى المهندس أحمد . كان يتجه  
الى المجلس المحلى وفى يده بعض الأوراق بينما كنت أنظر  
الى مشغل الفتيات المغلق وقال :

– صباح الخير يا ليلى . اتمنى أن تكونى وفقت فى  
مشروعاتك .

– صباح النور . فى الحقيقة كنت افكر فى كيفية  
تنفيذ أهمها وهو مشروع الرائدة .

– لك عندى أخبار سارة بخصوص هذا المشروع .  
سألته بسرور وعلى الفور :

– هات ما عندك وبسرعة .

– تقدمت للمجلس قروية ترغب للعمل فيه واعتقد ان  
لديها خبرة بفن التفصيل واشغال الأبرة .

– أين هى وهل تقدمت بشكل رسمى ؟

قال وهو يناولنى بعض الأوراق :

– هذه تخصصها ، وقد غادرت الوحدة لأنها كانت  
متعبة وكان هناك حمار فى انتظارها واعتقد ان عنوانها  
مدون هنا .

فحصت الأوراق بدقة ثم قلت له وأنا اشعر بالأسف :

– لا تصلح يا أستاذ .

– كيف وهى مؤهلة واعتقد أن شروط الرائدة تتوفر

لديها .

– لكن ينقصها أهمها .

لاحقنى قائلاً :

– ما هى ؟

– سلامة البدن فهى مسنة كما هو واضح من تاريخ

ميلادها . لكن على أية حال هذا يبشر بالخير لأن المشروع

بدأ فى الانتشار .

اقترب أحمد منى وقال بهدوء :

– فى إمكانك الاعتماد على فى تحمل جزء من

المسئولية حتى لا ترهقى فصحتك تهمنى .

لزمت الصمت وبقيت لحظات اتأمله فى نشوى بينما

واصل هو الحديث :

– منذ مجيئك للوحدة وأنا أشعر بالأمل . لقد بدأ

الشروق يزحف على هذا المكان الذى كان بالأمس يئن من

قسوة الظلام .

أجيبته وأنا أحاول ضبط انفعالاتي :

– أرحب بتعاون الأصدقاء • فكلنا أسرة واحدة  
تسعى للخير دائما كما أتصور •

قطع الحديث عم سيد ••

– الشاى يا باشمهندس •

قلت لأحمد بينما يحتسى الشاى :

– فى امكانك التعاون معنا فى عمل الدعاية والتوعية  
للمشروع •

قال وهو يهم بالانصراف عائدا للمجلس :

– اطلبى وما على الا التنفيذ من الآن •

ثم وجه كلامه لعم على قائلا :

– نأمل ان تحضر لنا من المدرسة بعض الأوراق  
والخامات الخاصة بالاعلانات ••

أجاب العامل بحزن :

– فى الامكان يابيه لكن لدينا بالوحدة وبجمعية تنمية  
المجتمع ميزانية للمطبوعات •

قلت بدهشة :

– لكن سمعان بيه ينفى ذلك •

تعجب عم على وقال وهو يصارع الغيظ :

- يوجد أشياء لا قيمة لها وينفق عليها من مال  
المصلحة • الى متى سيظل يكتم على أنفاسنا ؟

اجبته بتحد :

- الى أن نملك القدرة على محاربتة ولن نتوقف مهما  
كانت الصعوبات حتى لو كلفنا عمليات التوعيسة من  
مصروفنا الخاص •

- وسأبدأ من اليوم فى عمل زيارات للقريه رغم أنها  
كبيرة ومزدحمة ولا أدري من الذى سأبدأ بزيارته أولاً •

قال عم على :

- العمدة ياست ليلى لأنه يعرف كل أخبار البلد  
واقبيلينى رفيق الطريق •

- لا يارجل يا طيب • أنت تعبان طول النهار وفى  
امكانك العودة للأبناء للراحة •

استقبلتنى زوجة العمدة بحفاوة وهى سيدة فى  
الخمسين من عمرها • كانت ترتدى ملابس حضرية  
باستثناء الطرحة التى كانت تغطى رأسها ثم سألتنى  
بدهشة :

- أنت رئيسة الوحدة الجديدة ؟

– أنا الاخصائية وأقوم بالتوعية لمشروع الرائدة  
الريفية .

أجابت بضيق :

– فى الحقيقة فقدنا الثقة فى وحدتكم . فالوعد  
كثيرة والمشاريع أيضا كلها حبر على ورق وسبق أن قام  
بعض زميلاتك بزيارتنا منذ شهور حيث كانت هناك بذور  
لأعمال جلييلة لكن لم يتم شىء .

أجبتها بابتسامة أمل :

– لا داعى لليأس وسنبداً من جديد ونجاحنا يعتمد  
على تعاونكم ربما حدثت ظروف فيما مضى لكن تكون  
المدرسة قد تزوجت أو نقلت أو ما شابه ذلك . فأحياناً تكون  
الظروف أقوى من ارادة الانسان .

قالت بغضب :

– سيظل الحال كما هو عندما تأتى أخرى .

لاحقتها وأنا أقاوم اليأس الذى تسرب الى نفسى . .

سنختار الرائدة من القرية التى تقيم فيها حتى لا تفكر  
فى الاغتراب وربما نجد فيها ما يؤهلها لتصبح مدرسة  
مشغل أو مشرفة لروضة أطفال .

سالت بسخرية :

– والحضانة الحالية • هل سيتم تغييرها ؟

– عندما تأتي الميزانية الجديدة •

واصلت الحديث بنفس اللهجة ••

– منذ بضعة سنوات ونفس الكلام يعاد لدرجة أنى فكرت أن أقدم لابن ابني فى حضانة الوحدة والتي عندما قمت بزيارة مقرها اكتشفت أنها لا تصلح لاستقبال الاطفال فلا يوجد الزى الرسمى ولا لعب وان وجدت فهى مكسرة ورديئة ، كما ان الدار تخلص من البرامج الترفيهية والرحلات •• الخ •

أجبتها بابتسامة حزينة :

– كل شىء سيتم فى الوقت المناسب وسأبذل أقصى جهد فى التغيير لتحسين مستوى الحضانة حتى تتناسب مع ميول الأطفال ورغباتهم •

فُجأة حضر رجل مسن • كان يرتدى قفطانا وعباءة وطاقية راح يخطو بخطوات بطيئة حاولت أن أتذكره • فلقد رأيته من قبل • ربما فى اجتماع المجلس •

قالت السيدة بوجل وهى تقترب منه وتكاد أن تنحنى :

– حضرة العمدة وفى امكانك الحديث معه ، كما

تشائين •

ثم غادرت المكان وهى تقول له وتشير الى اخصائية  
جديدة بالوحدة ويبدو أنها متحمسة لمشروعات كانت ميته  
منذ سنين .

قال بهدوء وهو يعتدل فى جلسته ويشعل سيجارة :

- نعم رأيتها من قبل . جزاها الله كل خير .

قلت له بقلقى :

- نرحب بتعاون سسيادتكم معنا فى تنفيذ هذه  
المشروعات والافادة بالخبرة والمشورة ، وأولها مشروع  
الرائدة الريفية فأنت خير من يساعدنا فى القرية كلها .

أجاب بضيق :

- لكن يا ابنتى سبق أن قلت فى اجتماع المجلس أنه  
لا يوجد بالقرية أكلها من تنطبق عليها شروط الرائدة وأهمها  
حصولها على الاعدادية على الأقل .

أضافت زوجته التى عادت وفى صسحبته لا يزيد  
سنها عن الثالثة عشرة كانت تحمل صينية عليها أكواب  
من الشاى :

- فى امكانك الاتصال بزوجة المحضر .

قال العمدة فى احتجاج :

– ليست من أهل القرية ولقد نزحت من المدينة . .  
قالت زوجة العمدة ( من عاشر القوم يا حاج أربعين يوماً  
صار منهم ) .

– هي زوجته منذ سنوات ، ثم أنها لن تعمل بالفعل  
لأنها ربة بيت ومسئولة عن أطفال ولكنها ستقوم بالتوعية  
فقط ، وهذا لن يكلفها سوى ساعات ( قليلة ) من النهار .  
كان اليأس قد تسلل الى نفسى لكننى حاولت أن أبدو  
طبيعية .

استأننت فى الانصراف بعد ما أوشك الغروب على  
الرحيل وبدأت خيوط الليل تزحف لتظلل صفحة السماء .

قالت زوجة العمدة للفتاة وهى تشير الى :

– وصلى الأبله ليلى يا صباح

\* \* \*

غادرنا صالة الاستقبال . جذب انتباهى خاتم  
الخطوبة المعلق فى أصبع الفتاة . وقالت بأسى قبل أن  
أهمس بكلمة .

حصلت على الاعدادية وأمنيتهى أن أعمل رائدة ريفية  
فهذا العمل سيخرجنى من أزمتهى النفسية ، ولدى الشروط  
المطلوبة .

سألته بلهفة :

- هل يضايقك أحد ؟

شردت قليلا ثم واصلت الحديث :

- من شهور عقد قرانى على ابن صديق لوالدى  
كانت الدموع تسبق كلماتها • لم أعرفه ولم أتمكن  
التفاهم معه •

سألتها باشفاق :

- لماذا قبلت اذن ؟

- ماذا فى امكانى أن افعل اذا كنت لم اتزوج ا  
عمى الذى أحبه منذ سنوات ولا اتصور اننى سأكون لغير  
فى يوم ما •

- هل تقدم لخطبتك ؟

- نعم طلبنى من والدى لكنه رفض بخجة أنه ما ز  
يدرس فى الجامعة •

- هل هذا هو السبب الوحيد لرفضه ؟

- بالطبع لا •

كنت على اتم استعداد لانتظاره حتى التخرج ولحظت  
أكون قد وصلت السن القانونية للزواج •• ذلك لو ا  
النفوس صافية •

سألتها بتعجب :

– نفوس من ؟

أجابت بنبرة حزن :

– هناك خلاف بين والدى وشقيقه بسبب الميراث .  
قلت لها مطمئنة :

– لا تيأسى من رحمة الله . فما زلت صغيرة وربما  
تحبين زوجك بعد المعاشرة .

– لا أظن ذلك . فلقد مر على عقد القرآن عدة شهور  
ولا زلت لا أشعر نحوه بأية عاطفة ، وكـم كنت أتمنى  
مواصلة تعليمى .

– هل منعك أحد ؟

أجابت والدموع فى عينيها :

– لكى أو اصل تعليمى فى مدرسة المركز الثانوية لابد  
أن اختلط بالشباب سواء فى القطار أو فى الاتوبيس وهذا  
يتناقى مع عرف العائلة .

همست لنفسى بدهشة :

– أ يحدث هذا ونحن فى القرن العشرين . وفى  
فترة الثمانينات ، وقد زحفت المدنية والتطور على القرية  
المصرية ، والمفروض أن يؤثر هذا على سلوك الانسان  
وقيمه . ويستوعب الحرية التى تساعده على اثبات وجوده  
ومقاومة الرجعية والتأخر . لكنه صراع الأجيال .

سألتها بتعجب :

- كيف عقد قرانك ؟ ومازلت لم تصلى بعد السن  
القانونية ؟

أجابت بخوف وهى تتلفت يمينا ويسارا :

- لا يعتبر هذا مشكلة فى بلدنا والحل فى يد طبيب  
الوحدة الصحية ، فاذا رفض يذهب والد الفتاة التى  
سيعقد قرانها الى أى طبيب آخر ويساومه على المبلغ .

- وهل يدفع الوالد نقودا ؟

- نعم يدفع للطبيب من عشرة الى عشرين جنيها ،  
وأحيانا يقسم المبلغ بالتساوى بين المأذون والطبيب .

كان الطريق مازال ممتد أمامنا ، ولم نصل بعد للمحطة  
سبحت فى ذاكرة النفس الحائرة .

لاشك أن ما يحدث هنا جريمة لا ينبغى السكوت عليها  
لكن ما هو الحل ؟ ان الواقع فى أمس الحاجة للتغيير  
ولابد من وجود ثورة تصحيح لتلك الأوضاع الخاطئة  
وضرورة الرقابة الشديدة للحد من انتشار تلك الظواهر  
غير السوية والتى تصيب جسم المجتمع بالأمراض الخطيرة  
ان حياة الملايين منا مهددة بالمجاعة نتيجة لتفاقم المشكلة  
السكانية . فالزواج المبكر وبالتالي الانجاب فى سن  
مبكرة أحد الأسباب الى تفشى هذه المشكلة وهنا فى

الريف يكمن الخطر فلماذا لا يكون فى كل قرية مكتب  
توجيه أسرى يكون مهمته فحص حالات المتقدمين للزواج  
وخصوصا من ناحية السن ٠٠٠ ، ٠٠٠٠ الخ ٠

ماذا فى امكانى أن افعل الآن ؟ ازاء هذه الجريمة  
التي لمستها بنفسى ٠٠ هل أقوم بصفتى مسئولة بالتبليغ  
عن هذه الحالة ، واذا فعلت هل ستعترف الفتاة وتقول  
الحقيقة واذا حدث ذلك هل تفلت من عقاب والدها وهو  
رجل مسئول فى القرية وله كلمته ٠ ثم أين الطبيب الذى  
قام بالتزوير وتقاضى الرشوة ٠ هل مازال يؤدى دوره أم  
أنهى خدمته ونقل لمكان آخر ٠

المسألة اذن فى حاجة ملحة ونظرة عميقة وشاملة  
وحملة ضد هذا الفساد الاجتماعى المنتشر ولا بد من حملة  
جماعية ٠

قطعت الفتاة شرودى وقالت بخوف :

— خذى بالك يا أبلة ليلى ٠ الجاموسة ستهجم  
عليك ٠

أفقت لأجدنى وجها لوجه أمام بعض الحيوانات  
العائدة من الحقل ٠

واصلت الطريق بينما الفتاة عادت قبل أن يقبل  
الليل ٠

( ٨ )

## حديث المساء

عندما خيم الشفق الأحمر بدأت بعض الأملى النفسية  
تزول بالتدرج حيث ساد الهدوء وهبت نسمة نقية من جهة  
الحقول . توجهت للشرفة المطلة على منحل الوحدة وأرضها  
المخضرة . فكم كان يروقنى منظر الشمس وهى تغرب  
وتختفى رويدا فى حضن السماء الصافية . كانت تنشر  
أشعتها ذات الألوان الجميلة على المزارع والحقول فتضفى  
على الطبيعة رونقا وبهاء . تمنيت لحظتها لو أن نفوس  
الناس وضمائهم تصبغ نقية وصافية كهذا الجمال  
الالهى . دافئة يملؤها الحب والحنان . هؤلاء البسطاء  
الذين يعيشون فى أحضان الطبيعة الحانية والحياة المليئة  
بالخير . لاشك أن ذلك ينمى فى نفوسهم حب الخير ونبذ الحقد  
والشر . تلك النفوس التى تمتلئ بالغدر واغتصاب  
أموال الفقير .

أخرجنى من تأملاتى طرق على الباب • القادم سيدة  
مسنة • قالت بخضوع :

– غريب موجود ؟

– هل أَعْضبك فى شىء ؟

أجابت فى صوت مخنوق :

منه الله نسانى حتى أقول • مساء الخير •

سألتها بلهفة :

– ماذا حدث ياخاله تكلمى ولا تخشى شيئاً ؟

– أخذ أوراق البحث والختم ووعدنى بصرف المساعدة

لكن مضت عدة أسابيع وللآن لم يسأل عنى •

قلت لها مطمئنة ودمى يغلى :

– أتمنى أن أراك فى الصباح وبالطبع سيكون بالوحدة

وسأبذل كل جهدى لمساعدتك •

سحبت طرف طرحتها من وراء ظهرها وفكت الصرة

التي به وقالت بعدما أخرجت ما بها :

– ذوقى بلح طعمه سكر وفطيرة صغيرة وأوصيك

بأوراق أمك العجوز التي أمامك •

أعدت لها ما قدمته وقلت :

لا داعى للتعب لقد جئنا لخدمتكم ورعاية مصالحكم  
وهذا واجبنا .

انصرفت السيدة وهى تمطرني بدعواتها الطيبة .

\* \* \*

عدت للشرفة حيث كان الغروب على وشك الرحيل  
بينما الليل يستعد ليلقى بعباءته السوداء على الكون  
وعندما تسلل الى شعرت بالملل وبسرعة توجهت للطبيبة  
التي كانت على بعد خطوات من الاستراحة ولا يفصل  
بيننا سوى جدار . كانت مشغولة فى الكشف على بعض  
المرض وبعد لحظات عادت لتقضى بعض الوقت معى .

قالت وهى تتأملنى بعمق :

- يبدو أنك مكتئبة بعض الشيء

سألته بقلق وضيق :

- هل لديك بعض المهدئات ؟

قالت محذرة وبدهشة :

- أنصحك بعدم تعاطيها . واعتقد أن ما بك لا يتطلب

سوى نزهة على الطريق الزراعى لازالة السام .

الناتج من ضغوط العمل . فالجو صحو ومنعش فى

هذا المساء .

سرنا على شاطئ القرعة نستنشق بعض الهواء النقي  
الذي يظهر النفوس من بعض ما علق بها من كدر وحتى  
لا نصطدم بالفلاحين المعائدين من حقولهم بصحبة البهائم .  
كانت أحاديث الجالسين منهم على المصاطب تتسرب في همس  
الى اسماعنا .

صوت ١ : ستات البندر لا يهمهم شىء . يفعلون  
ما يبدو لهم .

صوت ٢ : الدكتورة والأبلة الجديدة الى أين  
سيذهبان ؟

صوت ٣ : ربما لزيارة مريض . الدكتورة دائماً في  
حاجة لفلوس ليل ونهار تجمع جنيهاً وترصمهم على  
بعض .

صوت ٤ : عندها خزنة يا جدع .

صوت ٢ : يهياً لى أنها تمتلك عمارة مثل  
أهل البندر .

صوت ١ : الكشف مستمر ليلاً ونهاراً ويمكن  
اشتريت أرضاً زراعية ولا مبانى .

صوت ٤ : لكن الاختصاصية ليست من هذا النوع  
ويبدو أنها طيبة .

صوت ٢ : لأنها جديدة • وكلها أيام وتتعلم وتفرض  
اتاة على طلب المساعدة وتفكر هي الأخرى فى مشروع  
تسمين عجول مثل سمعان بيه ولا العمدة ولا أى مشروع  
آخر يعود عليها بالربح الوفير •

كاد هذا الكلام أن يخرق اذنى وقلت للطبيبة :

- هل تسمعين ما يدور حولنا • لماذا يسيء هؤلاء  
فهمنا •

أجابت ببرود ولا مبالاة :

- لقد تعودت على هذا منذ سنين وحفظت كل هذه  
الحكايات جيدا ولم تعد تحرك فى ساكنا •

- لكننى لا أرضى أن يسيء أحد فهمى ولا بد من  
المواجهة •

- الدنيا ليل وينبغى الا نحدث ضوضاء • وكفى نزهة  
هذا المساء •

لزمت الصمت وأنا عائدة بصحبتها وكتمت فى نفسى  
غيظى •

سألتنى لتخرجنى من حالة السأم هذه :

- ما أخبار المهندس ؟

أجبتها بسرور وقد بدا القلق يزول بعض الشيء :

• لاشيء سوى علاقات العمل •

• أقصد علاقتك به كصديق حميم •

تسربت بعض الراحة الى نفسي وأخذت نفسا عميقا  
ملاً صدرى بنسيم الجو المنعش الذى بدا وكأنه سحابة  
رقيقة • محملة بالمطر • • وأجبتها فى همس :

• اننى ارتاح للحديث معه حتى بعدما علمت بنبا  
خطوبته من قريبة له وعندما تمر أيام قليلة ولا أراه •

• يتسرب القلق الى نفسي وأشعر بالخوف •

قالت وهى تربت على كفتى بحنان :

• تقابلا وتسامرا فلا شك أن ذلك سيقربكما من بعض •

• لكيف ونحن نعيش فى واقس تحكمه العادات  
والتقاليد الريفية الجامدة وأخشى اذا انفردت به لجرد  
لقاء برىء يساء فهمى وتساء سمعتى •

• التقيا فى المركز فهناك بعض المتنزهات والكافتريات  
وحاولى أن تصلى معه لقرار •

• الجدران لها أذان والفلاحون منتشرون فى كل  
مكان سواء فى المركز أو فى أى قرية من القرى •

— إذن سافرا الى القاهرة فهى أفضل وهناك أرض  
الله واسعة •

تنفست بصعوبة وقلت لها بضيق :

— المشكلة ليست فى اللقاء ولكن ••

سألتنى على الفور :

— ماذا ؟ ثم لماذا تكون هناك مشاكل بين المحبين ؟

— لأننى لم أستقر بعد على المكان الذى سأعيش فيه  
بقية حياتى ثم ان المهندس مرتبط بارضه وداره وكل املاكه  
والانسانة التى من المفروض أن تشاركه حياته لابد أن تقبل  
الحياة هنا • هذا بالاضافة الى المشكلة الجديدة •

سألتنى بدهشة :

— أية مشكلة ؟

— خطيبته التى يقول أنه لايجبها ولكنه وافق نظر  
لضغوط أهله لأنها قريبة له •

— مازال هناك أمل لأنه لم يرتبط بها بالفعل وحاول  
الا تخسريه •

اجبتها بأسى :

— أنا مشحونة بالمشاكل التى تواجهنى فى العمل  
ولست فى حاجة الى متاعب أخرى •

سألتنى بينما تقترب من باب الوحدة :

– وهل تحول المشاكل بين الانسان وحريره ؟

– أحيانا وبالتالي تفشل قصص الحب عندما يفقد الطرفان القدرة على الوفاق وحيانا تكون هناك مشاكل مدمرة تقتل العواطف وتقطع كل صلات المحبة والمودة .

قطع الحديث عامل الوحدة الصحية وقال :

– توجد بعض حالات اكشف فى انتظارك يادكتورة من وقت طويل .

قالت لى وهى تتجه نحو الوحدة الصحية :

– اذا شعرت بالملل فى امكانك التصرف وقد عرفت  
الحل .

( ٩ )

## ثيك بالمرتب

اليوم الخامس فى الشهر • ولم يصلنى المرتب بعد مما جعلنى أشعر بالقلق فما بقى معى من نقود لا يكفى حتى ضروريات الحياة • كيف التصرف اذن • ولن أجا فى هذه البيئة الريفية المليئة بالغرياء ان خجلى يمنعنى من الافتراض من أحد وخصوصا أننى فى بداية حياتى العلمية فى تلك الوحدة الاجتماعية • حتى من الحمد بالرغم من أننى أشعر بالقرب منه رغم الضباب الذى يحجب عنى رؤيته بوضوح منذ أن وصلتنى أنباء خطوبته من قريبة له وأدرك تماما أنه اذا علم بحاجتى للنقود فلن يتأخر وسيسيدل قصارى جهده لأرضائى •

تجمع المستفيدون من أصحاب المعاشات والمساعدات أمام مكتبى بالعشرات • كل يسأل عن الطلب الخاص به •

نسيت بصفة مؤقتة ما أشعر به من معاناه فى زحمة الأوراق التى أخرجتها من الدولاب للفحص واستكمال الأبحاث الناقصة .

أخرجنى من قسوة هذا الزحام عامل الوحدة المسن على الذى جاء مهرولا وهو يشق طريقه بصعوبة بين هؤلاء الذين افترشوا أرض الوحدة نظرا لعدم وجود دكك أو مقاعد .

قال وهو يناولنى مظروفا :

– هذا خاص بك يا ست ليلى .

أمسكت بالخطاب بيد ترتعد ونفس قلقة فلقد كان يبدو من مظهره أنه من جهة حكومية . وبسرعة البرق قرأت محتواه وقبل أنلقى به فى حقيبتى انتفضت واقفة وتأهبت لمغادرة المبنى .

سألنى العامل الذى كان لايزال واقفا وينتظر بقلق :

– الى أين يا ست الكل والناس فى انتظار طلاباتهم وما زلنا فى بداية النهار ؟

أجبتة بلهجة سريعة وابتسامة :

– لابد أن الحق بالادارة الاجتماعية لاستلام الشيك الخاص بمرتبى وصرفه .

\* \* \*

شعرت ببعض الراحة عندما وصلت لقسم الحسابات  
بعد مضي وقت قصير • استغرقته ( التايوته ) رغم كثرة  
المطبات والمخلفات على الطريق الزراعى •

اقتربت من احدى الموظفات التى كانت تفرغ الشاى  
فى بعض الأكواب المصفوفة على المكتب •

• سالتها وأنا أناولها الخطاب

• جئت من سفر لاستلام الشيك الخاص بمرتبى

أجابت بلامبالاة بعدما ألقى نظرة سريعة على  
المكتوب :

– حررت استمارة منفصلة بالمبلغ وأرسلت لجلس  
• المدينة

وقفت مذهولة وأنا أهمس لنفسى فى كدر بعدما بدأ  
الأمل يتضائل أمام عيني •

لماذا ارسل ، وما علاقة المجلس بذلك ؟! يبدو أننى  
سأعانى من مرارة الروتين الممل •

تسرب ما صدر منى من همس الى مسمعها فردت على  
الفور بتكشيرة مفتعلة •

• تلك أوامر الرؤساء وما علينا الا تنفيذها •

\*\*\*

أسرعت الخطى لألحق بموظفى المجلس قبل انتهاء وقت العمل فربما أتمكن من الاحتفاظ بشعاع الأمل الضئيل الذى ما زال يمرح فى غرف النفس الضبابية .

وفى قسم الحسابات فى تلك الصالة الواسعة جدا والمزدحمة بالموظفين وقفت مذهولة : حائرة . تائهة فى زحمة الضوضاء المنبعثة من الأصوات العالية . البعض يحل الكلمات المتقاطعة ويسأل بصوت مرتفع ورنين التاييست ورقصات ملاعق الشاي فى الأكواب الزجاجية . احتكاك أصوات الطعام المتبقية من الإفطار . أحاديث الموظفين المثيرة حول مسأدار فى بيوتهن مع أزواجهن وأولادهن بالأمس وصباح اليوم .

انتشلنى احد الموظفين مما غرقت فيه بعد ما يقرب من ربع ساعة قضيتها واقفة وسألنى . .  
طلبات الأنسة ؟

أخذت نفسا عميقا وحمدت الله لأن البعض قد شعر بى وأجبت على الفور . .

لى استمارة منفصلة بمرتب هذا الشهر باسم ( ليلى الصاوى ) تم تحويلها من الادارة الاجتماعية وأتمنى لو أستلم الشيك اليوم لأننى أقيم فى الريف وتعلمون مدى المعاناه التى نجدها فى السفر .

قالت موظفة وهى تحتسى الشاي بهدوء :

- المسئول عن مرتبات الادارة غادر المكتب قبل قدومك بدقائق ولا أحد يعلم الى أين ذهب ومتى يجيء .
- غلى الدم فى عروقى وسألت بانفعال وضيق .
- أين المدير أو الموظف المسئول ؟

اقتربت منى موظفة . ربتت على كتفى محاولة تهدئتى  
ثم ناولتنى كوبا من الشاي وقالت :

– اجلسى أولا واشربى الشاي وسنجد الحل باذن  
الله ، ثم صاحت قائلة :

– أين سكرتيرة رئيس الحسابات المسئول عن الادارة  
الاجتماعية . هى التى فى امكانها معرفة مكان الاستمارة  
وهل تم تحرير شيك بالمبلغ ام لا .

القيت بجسدى المتعب على احدى المقاعد وأنا اكنم فى  
نفسى صرخة تود لو تعلن تمردا .

قال الموظف الذى كان مشغولا فى حمل الكلمات  
التقاطعة بسخرية :

– ابحثى عنها فى دورة المياه ولا فى البوفيه ولا يمكن  
ذهبت للسوق أو الجمعية تلحق تشتري فرختين ولا كام  
كيلو سكر .

ازداد انفعالى بالغضب واحسست ان ما بقى من أمل فى صرف الشيك اليوم قد تلاشى وخصوصا عندما ظهرت السلكرتيرة وراحت تبحث فى بعض الاوراق بدرج مكتبها بعدما علمت سبب . . قدومى ، ثم قالت وهى تتنهد بصعوبة :

الشيك الخاص بمرتبك عاد للادارة للاستيفاء .

انطلقت اعدو فى الطريق ولم أسمح للياس . ذلك الشبح المحيف بأية فرصة ليكبلنى بقيوده السقيمة ومما بحث فى نفسى الطمأنينة مابقى من وقت للعمل .

وبينما أصعد بعض درجات السلم متجهة الى قسم الحسابات بالادارة اذا بى وجها لوجه بالموظف الذى التقيت به فى الصباح . قال على الفور :

— الشيك الخاص بك أرسل مع بعض الشيكات الأخرى الى البوسطة وهى ليست ببعيدة من هنا . فى شارع السوق وفى امكانك الوصول فى وقت قليل .

عادت ذاكرتى للأمس القريب عندما ذهبت لأحد المسئولين بالوزارة وقدمت التماسا برفض نقلى للعمل فى الريف كأخصائية اجتماعية والبقاء فى المدينة حيث مقر أسرتى . ولكنه حاول اقناعى وقال :

— خرج الأمر من يدى وصدر قرار وزارى بنقلك كسائر زميلاتك اللواتى استلمن العمل حديثا وتم اختبارهن



أمامه كبلونة قد امتلأت حتى اخرها بالهواء . يتناول  
أصنافا مختلفة من الطعام . فول وفلفل ، طرشي ، خص ،  
بصل أخضر . وقد ابتلعت هذه الأطعمة ثلاثة أرباع مساحة  
المكتب والتصقت بها الأوراق والاظرف وهنا أدركت أن  
الشيك قد تاه فى زحمة المهرجان وربما قد أصابه التلف  
وفى اكلنا الحاليتين لن يصرف .

على أن أنتظر حتى ينتهى من وليمته حيث لا يوجد  
مسئول سواه . الساعة تقترب من الواحدة والنصف .

اقتربت منه أكثر وقلبي يدق بسرعة وكدت ان اصرخ  
فى وجهه وأقول :

– لهذه الدرجة تصبح مصالح الناس لعبة فى أيديكم .

لكننى لزمتم الصمت وكتمت فى نفسى غيظى فربما  
تصب صرختى لعنتها على نفسى وتقلب ضدى .

قال الموظف ليطمئننى :

– عندما ينتهى من الافطار سيدلك على الشيك فورا .

قلت له متوسلة :

– أرجوك ابحث لى عنه لأنه لن ينتهى الآن . وأنا

مضطرة للسفر اليوم .

قال بهدوء :

- اطمئني • البنك يعمل حتى الثانية والنصف وكلها  
فرجة كعب وتجدين نفسك امامه •

نظر لى المدير وهو يمضغ الطعام بشكل يثير الاشمئزاز  
وقال بصوت متحشرج •

- اتفضلى كللى لقمة • يمكن تكونى على لحم بطناك  
من الصبح •

أجبتة وأنا أكتم فى نفس بركانا من الغيظ يود لـ  
ينفجر :

- الساعة تقترب من الثانية ولا زلت لم أستلم الشيك  
الخاص بى •

حاول ان ينهض بصعوبة وهو يلتهم ما بقى من طعام  
وقال وهو ينهج بينما العرق يتصبب من جبهته :

- العمل أولا • توكلنا على الله •

همست لى نفسى ساخرة ••

- ونعم المدير الكفاء مصلحة العمل عندك فوق كل  
اعتبار حتى لو كان الغذاء نفسه •

قال موجها كلامه للموظف :

- الشاى يا جمعه ولا تنس الهانم •

- اشكرك على كرم ضيافتك • لكننى مستعجلة وكلى  
أمل فى الحصول على الشيك قبل مغادرة ائبنى • سأل  
جمعه بصوت مرتفع :

- نظف المكتب يا حمار •

سحب الساعى بعض الأوراق من فوق لحدى الدواليب  
والتي لا فرق بينها وبين استمارات المرتبات والأظرف  
الصالحة للاستعمال ثم مسح بها ما علق بالمكتب من  
بقايا الطعام •

تسربت لطمأنينة الى نفسى عندما بدأ المدير يبحث  
لى عن طلبى ولكن خاب ظنى عندما سألنى :

- طلبات الأنسة •

اجبته بغيظ وكدر :

- سبق أن قلت لسيادتك ان الادارة الاجتماعية ارسلت  
الشيك الخاص بمرتبى الى هنا وارجو استلامه للاحق  
بالبانك •

اعتدل المدير فى جلسته وراح يديق بكفه على كرشه  
ويقول :

- الشاى يا جمعة الأكل حام جدا وبطنى تكاد أن  
تنفجر • ولا تنس الشيك الخاص بالسنت • ابحث عنه  
فى دفتر الوارد •

بعد لحظات عاد الساعى ليقول :

– لا يوجد يا سعادة البية • لم نتعود استلام شيكات  
من الادارة الاجتماعية أو غيرها •

رد المدير بعصبية :

– ترسل يا غبى عندما يتأخر الموظف عن الحضور  
لاستلامها •

اجبته بلهجة سريعة :

– لكنى لم اتأخر وجئت فى الميعاد الموضح بالخطاب •

قال المدير وهو يحنسى الشئى بصوت مسسموع  
ومقزز :

– انصحك يا ابنتى بالعودة لالادارة للبحث  
والاستفسار بدقة من المسئولين •

تسربت كلماته الى اذنى نكالريخ العاصف وكدت ان  
اختلف • ولم أعد أحتمل رؤية أحد أو الاستماع لأى شىء  
– لأخرج للطريق حيث الزحام والناس والعربات واصوات  
البائعين والدواب فربما يخفف هذا الخضم بعض ما أعانى  
منه •

وقبل أن اغادر عتبة الباب الخارجى اذا بصوت  
جمعة ينادينى :

– يا آنسة عثرنا على الشيك فى بوسطة مجلس المدينة  
وفى امكانك استلامه .

عدت بخطوات وثيدة وقد بدأ اليأس يودع نفسى  
بالتدريج .

سألت المدير بغيظ :

من المسئول عن رحلة العذاب التى بدأتها من الصباح  
الباكر وحتى نهاية وقت العمل ؟

قال ببساطة وهدوء :

مجرد خطأ يحدث كل يوم وأحيانا كل ساعة ثم كلنا نمر  
بعذاب يا ابنتى وفتألم من أجل لقمة العيش فلا يوجد حلوى  
بدون نار .

( ١٠ )

## نزهوة

قبل الخروج وبينما استعد لمغادرة الاستراحة متجهة  
للقرية لاستكمال التوعية لمشروع الرائدة دق الباب .

الطارق عامل الوحدة الصحية .

قال بلهجة سريعة :

— الدكتور في انتظارك لأمر هام .

— سأحضر حالا .

همست لنفسى وأنا فى طريقى اليها :

— يبدو أنها مريضة أو اصابها مكروه أو ربما

ارادت أن تحكى لى قصة طريفة من حكاياتها مع الفلاحين

فهى دائمة الشغب معهم .

التقيت بها فى الحديقة • كانت فى طريقها لحالة  
كشف • قالت وهى تقاوم الارهاق :

– لقد سئمت فحالات البلهارسيا وحدها كانت  
بالعشرات وفى أمس الحاجة لنزهة على الطريق الزراعى  
وأتمنى مصاحبتك •

– لا مانع لأننى فى أمس الحاجة للترفيه عن نفسى  
أيضا وفى نفس الوقت سأمر على بيت المحضر لمقابلة  
زوجته التى تنطبق عليها شروط الرائدة الريفية • هذا  
ما قالته زوجة العمدة وبالتالى أكون قد ضربت عصفورين  
بحجر لكننى أجهل العنوان •

– لا تشغلى بالك دارها على بعد خطوات من فيلا  
بنك التسليف وحتما سنمر عليها للكشف على ابنها  
الرضيع •



انتظرت الطبيبة حتى تنتهى من الكشف على الصغير  
فى احدى حجرات هذا البيت الكبير الذى كان كل شىء فيه  
مبهرًا ويوحى بأننا فى قلب المدينة • فلقد امتلأ بالأثاث  
المودرن والأجهزة الكهربائية الحديثة وحنفيات المياه حتى  
الجدران طليت بالزيت •

تذكرت دار السيدة المسنة التى تقيم فى نفس الحارة  
وعلى بعد خطوات من تلك الدار وسبق ان تقدمت لطلب

معاش وقمت بزيارتها لاجراء البحث وكم أصابتني الدهشة  
وهزنى الألم عندما رأيت الصغيرة لا تزيد عن صندرة  
فيها بعض الاوانى القديمة ولمبة غاز ووابور غاز وبعض  
قطع الحصير الممزق وبقايا كليم قديم ولا أثر لطيور أو  
بهائم ولا ديك يتمتم فى قلب الفناء الصغير الذى يتوسط  
السدان .

افقت من شرودى على صوت الطبيبة وهى تقول لزوجة  
المدير بعدما ناولتها زوجته العلاج :

— الحالة بسيطة . مجرد نزلة برد خفيفة وفى امكانك  
صرف هذا العلاج .



سرنا قليلا على شاطئء الترعَة بينما الليل يهمس  
للغروب وكأنما يستأذن فى الرحيـل تاركاً مكانه لستأثره  
الرمادية . تسرب الهواء لأنفاسنا نقيا فطرد ما بها من  
غبار وشعرنا بانتعاش بعد تعب طول النهار .

شد انتباهى بعض الأولاد الذين كانوا يقفزون فى مياه  
الترعة المليئة حتى أخرها بالمياه وقد خلعوا ملابسهم على  
الشاطئء ولم يعد شيئاً يستر عورتهم .

قلت للطبيبة والأسى يعصر قلبى :

فى الترع والمصارف نظرا لانتشار قواقع البلهارسيا فيها والتي لا ترحم اجساد الصغار بل سرعان ما تسرى دودتها اللعينة وتتغذى على دمائهم . وللأسف يستمعون جيدا ويعدوننى بالتنفيذ وفى لمح البرق يتبخر هذا الكلام ( وكأنتك يا ابو زيد ما غزيت ) ولم اياس بل ارسلت لشيخ الزاوية مذكرة بخصوص هذا ليذيعها من آن لآخر .

قلت لها بعدما مللت هذا الحديث :

ـ اننا نسير بلا هدف . الى اين ؟

ـ انا فى حاجة ماسة لهذا الجو النقى حيث الهواء الطلق والهدوء بالاضافة لصوت الضفادع الذى يتسرب الى اذاننا كموسيقى تخفف من وطأة الألم على انفسنا .

ـ وانا لا اقل عنك احتياجا لهذا الجو المنعش لكن فكرى معى كيف نعثر على رائدة ريفية واتمنى الا تخذلنى زوجة المحضر كما خذلنى العمدة

ـ كيف حدث هذا ؟

شروط الرائدة تنطبق على ابنته فهى حاصلة على الاعدادية ومتحدثة لبقة وتعانى من فراغ وتعرف كل خرم ابرة فى البلد وبرغم ذلك أنكر أن له ابنة .

ـ الكبار فى تلك البلد لهم فلسفتهم الخاصة وأعرافهم وكلمتهم مسموعة .

قلت لها بكدر :

– اذا لم يكن هؤلاء قدوة فمن الذى سيصبح كذلك ؟  
هل الفلاح البسيط ؟

– دعينا من هذا الكلام لأنه غير مجد وينبغى أن  
نفكر فى كيفية عمل التوعية الصحية .

– لابد من تكثيف الجهود اللازمة وليكن عن طريق  
الندوات والمحاضرات التى يستمع لها اهل القرية جميعا  
وخصوصا السيدات والرجال أيضا ويا حبذا لو دعمت  
بالأفلام التسجيلية لتشرح أسباب الأمراض الخطيرة وكيفية  
الوقاية منها .

قالت الطبيبة بابتسامة أمل :

– كلامك صبح لكن لا وقت عندى لهذا الجهود .  
بالاضافة لقلّة الامكانيات وكسل الاجهزة المسئولة عن  
الارشاد والتوعية ومثال على ذلك . .

– ولدى عجز فى بعض الأسوية المهمة وأرسلت  
للمسؤولين وكان الروتين والاهمال يضرب بكل شىء عرض  
الحائط .

– فهل لو طلبنا مثل هذه الأجهزة الفنية سسنجد  
استجابة . .

- ربما هناك أمل فى مشروع الراضدة الريفية .
- قالتوعية لمثل هذه المشروعات أهم مسئوليتها .

قالت الطيببة بيّاس :

- ربما هناك بصيص من الأمل ، على أية حال نصف العمى ... الخ

اشارت لى وقد اقترينا من مبنى كبير وقالت :

- انظرى هذه دار المحضر ، تلك التى تلفها حديقة وارفة الظلال .

( ١١ )

## زوجة المحضر

لحنا سيدة شابة ونحن نقترّب من ذلك المبنى الكبير  
ذى الساحة الواسعة والتمى من الممكن أن يعقد فيها سباق  
خيل ٠٠ وكانت ترتدى فستانا « مودرن » وتغطى رأسها  
بطرحة سوداء ٠

— أهلا وسهلا بالضيوف الاعزاء ٠٠ الدكتورة فى  
دارنا ٠٠ زارنا النبى ٠٠

وجدنا انفسنا حائرين وسط هذه الدار الواسعة جدا  
٠٠ أشارت الى حجرة المسافرين وهى تزيح الطرحة عن  
شعرها المنساب خلف ظهرها وبثقة واعزاز ٠٠ قالت :

مظهرى لا يدل على انى فلاحه ٠٠ أنا من القاهرة  
وكل أخوتى تخرجوا فى الجامعة وحصلوا على وظائف

عالية بينما كنت البنت الوحيدة .. لذلك لم أوصل تعليمي  
ونظرا لحاجة البيت لى \*

- حصلت على الثانوية فقط واضطرتنى الظروف من  
زواجى من قريبي المحضر .. واعيش معه هنا فى القرية  
التي تبعد عن عمله بمسافة قصيرة \*

قدمتنى الطيبة قائلة :

- الأبله لى الاخصائية .. وأعتقد انكم سمعتم عن  
نشاطها بالتوعية لمشروع الرائدة الريفية .. وبلغنا أن  
لديك استعدادا للعمل \*

أجابت السيدة بلهجة سريعة وسرور وهى تقدم بعض  
الحلوى :

- أنا فى أمس الحاجة للخروج من العزلة والفراغ  
الذى أعيش فيه .. هنا لن تجدى من يتفاهم معك وخصوصا  
ان كنت غريبة عن البلد \*

لاحقتها قائلة :

- فى امكان الانسان التكيف فى أى واقع يعيشه ومع  
أى نوع من الناس وذلك عن طريق العلاقات الطيبة والروح  
المعنوية والاختلاط المسليم \*

قالت بضيق وهى تقدم بعض المثلجات :

– مع الأسف حاولت كثيرا مع بعض القرويات هنا  
لدرجة أننى أحيانا استقبلهن فى بيتى ونتسامر واعلمهن  
عمل المربات والحلوى لكن لا فائدة .. كن يعتقدين أننى  
أحسن حالا منهن بل واتعالى عليهن ..

أجابت الطيبية :

– ربما ترجع هذه المعاملة الى مظهرك ولهجتك ..  
فمازلت تحتفظين بملامح أهل المدينة ..

قالت السيدة بأصرار :

– لن أتخلى عن شخصيتى ولهجتى وكونى قاهرية ..

زحف الليل وغطى القرية بعباءتها السوداء .. اللهم  
الا بعض الأضواء الخافتة والنبعث معظمها من لبسات  
الغاز .. كان علينا ان ننصرف .. سألت الزوجة ..

هل فى امكانك زيارتى فى الواحدة صباح الغد للملء  
استمارة الرائدة الريفية ..

– لن اتمكن من الحضور الا بعد موافقة زوجى وهو  
على وشك الوصول ..

الوقت يمر بسرعة ولا أمل فى وصول المحضر ..  
خشينا أن ننسى أنفسنا فالطيبية فى حاجة الى وقت للكشف  
على بعض حالات الكشف المستعجلة هذا المساء .. وأنا  
أيضا أخشى دخول الاستراحة اثناء الظلام حتى لا أسبب  
ازعاجا للمهجرين الذين يقيمون بالوحدة .. وقبل ان

ننصرف نبهنا على الزوجة بأن تبلغ الزوج بضرورة الاتصال  
بالوحدة الاجتماعية صباح اليوم التالي لمعرفة رأيه حول  
ترشيح زوجته للعمل فى المشروع .

وبينما نغادر الباب الخارجى للمبنى اذا بنا وجهها  
لوجه برجل ٠٠ قالت الطبيبة فى الحال ٠٠٠ المحضر وصل  
وفى امكاننا الحديث معه ولو لدقائق ٠٠

صحبنا الى الحديقة بعد ان حيا كل منا الآخر ٠٠  
فالجو فيها منعش ورائحة الورد تعطر النفوس وتزيل السأم  
بالاضافة الى الأركان المريحة التى اعدت من جريد النخل  
وأعواد الحطب خصيصا للجلوس بالاضافة الى عناقيد  
العنب التى تدلت وسال لعابنا لها ٠٠

قالت الطبيبة وهى تشير الى :

– الأبله ليلى :

لاحقها قائلا :

– سمعنا عن نشاطها الكثير فهى أخصائية ناجحة ٠٠

– باختصار ترغب فى معرفة رأيك حول امكانية ترشيح  
زوجتك للعمل فى مشروع الرائدة الريفية وخصوصا ان  
الشروط تنطبق عليها .

قطعت الحديث زوجته التى أختفت قليلا بين دهاليز  
تكعيبة العنب وعادت وهى تحمل عشرات العناقيد ثم قدمته  
لنا وهى تقول :

- هذا نصيبك يا دكتورة انت والأبلة ليلي ..
- انشغلنا بعض الوقت فى التهام كمية لا بأس بها حيث  
اغرانا طعمه اللذيذ بينما عاد المحضر ليواصل كلامه من  
ناحيتى لا مانع ولكن بشروط ..
- تسرب القلق الى نفسى وخشيت أن تكون صعبة التنفيذ  
فليس من السهل العثور على مثل هذه السيدة فى القرية  
كلها .. بل وفى القرى المجاورة ..
- واصل المحضر حديثه وهو يقدم لنا المزيد من العنب •
- أهمها ان تقضى فترة التدريب وهى الثلاث شهور  
فى الوحدة الاجتماعية لا فى المركز أو القاهرة كما هو  
متبع أو شىء من هذا القبيل •
- أجبتة بضيق ..
- سأحاول تنفيذ ما استطيعه اما فيما عدا ذلك فالحل  
فى أيدي المسئولين ..
- اقتربت منى الطبية ونحن نتأهب للرحيل وقالت  
هامسة ..
- ليس من السهل تنفيذ أى شىء يعود بالفائدة على  
القرية والفلاحين فهنا العراقيل تفوق الوصف •
- قال المحضر وهو يفتح الباب الخارجى :
- اننا نحب بلدنا ولا بد أن نقوم بالواجب نحوها ..

( ١٢ )

## شيخ البلد

فى دار شيخ البلد استقبلتنا زوجته بحفاوة • تلك  
السيدة المسنة التى كانت ترتدى ملابس سوداء وتتحدث  
بلهجة أهل المدينة •

قالت وهى تصحبنا داخل الدار حيث صالة الضيافة :

– أهلا بالدكتورة والأبلة الاميرة •

• اضافت الطبيبة وهى تشير الى

– ليلى أخصائية جديدة بالوحدة الاجتماعية • الغرض  
من الزيارة اليوم نشر الوعى الصحى والاجتماعى  
وخصوصا مشروع الرائدة الريفية •

قالت السيدة بصوت مرتفع وهى يبصرها الى

• الداخل

– الشاى يا بتعة واستعجلى أباك •

ثم واصلت معنا الحديث ••

شيخ البلد مشغول فى بحث شكاوى الفسلاحين التى لا تنتهى •

وبينما نشرب الشاى أقبل رجل مسن يرتدى عباءة وجلابابا وقد ارتسمت علامات الطيبة على وجهه •

هرولت السيدة نحوه وقالت وهى تكاد أن تنحنى :

– الدكتورة والابلة الاخصائية فى ضيافتنا يا حاج عبد العليم •

قال وهو يضع عصاه جانبا ••

– أهلا بالضيوف • بلدنا نورت • زيارة مبروكة •

لاحقته الزوجة ••

– كلها خير لأهل القرية •

قطعت الحديث قائلة :

– فى الحقيقة هدفنا نشر الوعى لبعض المشروعات الحيوية التى تعود على الفلاحين بالفائدة كمشروع الرائدة الريفية ، محو الأمية والنادى النسائى ونأمل فى ترشيح فتاة أو سيدة شابة تمثل قريتكم مع مراعاة توافر شروط الرائدة التى تعلمها •

قال وهو يعتدل فى جلسته ويتناول بعض الشاي •  
- قرينتنا الصغيرة هذه كرمها الله بناس طيبين  
والتعاون يجرى فى دمهم لعمل الخير لكن مع الأسف توجد  
معوقات •

انفعلت الطبيبة بالغضب وقالت :

- من المسئول عن التعطيل ؟

اجاب وهو يتنفس بصعوبة :

- رئيس وحدتكم • سمعان بيه عرضنا عليه بعض  
المشروعات المهمة والتي تفيد أهل البلد منها نادى الطفل  
ومحو الأمية مع الاسف رفضها بحجة أنها ستشكل عبئا  
على ميزانية الوحدة بالاضافة الى أن مشروعات الوحدة  
فى حاجة الى تطوير وتنشيط واذا وجدت ميزانية جديدة  
فهي أحق بها •

سألته بدهشة :

لماذا لم تلجأوا للإدارة الاجتماعية أو المديرية •

- فعلنا وقدمنا مستندات تفيد بأن بعض الأهالى  
تبرعوا بالأماكن اللازمة لإقامتها ولكن كان رأيهم دائما ان  
نلجأ الى الوحدة الاجتماعية أولا لمعرفة رأيها ••

سألته الطبيبة بكدر :

ما هدفه من وضع العراقيل •• ؟

اجاب شيخ البلد :

– بالنسبة لمحو الامية يرى أن الفلاحين ليس لديهم وقت فراغ لذلك فهم يعملون فى الخيط طوال النهار ويعودون لديارهم ليلا للراحة ويرفض مناقشتى معه عن الذين يرغبون فى التعليم ويبرر ذلك بأن الوحدة الاجتماعية هى المركز ومقر لاي مشروع .

عقبت الدكتورة :

– كيف يسافر الفلاح يوميا من هنا الى مقر الوحدة ويقاسى فى زحام القطار أو الاتوبيس بالاضافة الى تعبته من عمله فى الحقل .

ساد صدمت . ذهب شيخ البلد بفكره لبعيد وقال :

– مثل هذه المشروعات كانت ستفيد الشباب المتحمس من اهل قريتنا وتشغل وقت فراغه لكن الآن لامكان لهم سوى القهوة أو الطريق الزراعى . يقضون معظم وقتهم فى السمر والحكايات .

أضافت زوجة شيخ البلد .

– حتى الاطفال رفض أن ينشئ لهم دار حضانة فى البلد بحجة أن الموجودة بالوحدة افضل بكثير وأفيد لهم . بالله عليكم . كيف يسافر الأطفال يوميا والطريق صعب وكله مطبات وغير مرصوف بالاضافة لزحام المواصلات من من الآباء سيوافق على أن يعرض ابنه للخطر . ؟

( ١٣ )

## الفتاتان

سال شيخ البلد زوجته أن تصحبنا الى حديقة الدوار حيث الهواء الطلق والخضرة حتى تخف حدة القلق الذى انتابنا . . ولتناول عشاء خفيفا . . وبالفعل شعرت ببعض الراحة النفسية عندما القيت بجسدى على احدى المدكك المصنوعة من جريد النخل والحطب فى ركن من هذه المساحة الكبيرة من الخضرة والتي تبلغ ربع مساحة الدوار .

— كنا نستظل بأشجار البرتقال والنخيل والليمون وأمامنا بعض الخضروات منها الخس والجعضيض والفجل والجرجير والكرنب والنعناع .

نادت السيدة على صبية حسنة المظهر وترتدى ملابس ريفية ذات ألوان زاهية وقالت :

– العشاء للابلوات يا بتعه ٠٠

قلت ببسمة امل موجهه كلامى لشيخ البلد :

– ننسى الماضى ونبدأ من جديد ونجرب فلن نخسر شيئاً ٠٠ وكل ما نريده الآن ان ترشدنا لمن تصلح رائدة ٠

قال وقد امسك بعصاه استعدادا للوقوف :

– نعم لابد ان تكون متعلمة وحاصلة على الثانوية العامة على الأقل وخفيفة المظل واجتماعية لانها ستكون على صلة دائمة بالفلاحين ٠٠ نادى على الصبية التى حضرت وهى تحمل صينية كبيرة امتلأت بالفطائر وأطباق عسل النحل والقشدة وقال :

– اذهبى بسرعة لدار فاطمة وبهية ولا تعودى الا وهما معك فهما خير من يمثل الرائدة ٠

ثم واصل الحديث مشيرا الى والى الطبيبة ٠٠

فى امكانكما التعرف عليهما الى أن انتهى من مشاكل الفلاحين لأنهم مازالوا فى انتظارى فى استراحة الزوار قالت الزوجة وهى تقدم لنا الطعام :

– ابنتى بتعة خرجت بها من الدنيا هى واخوها الذى يعمل مدرسا فى مصر ٠٠ حجرتها فى الدار بعد حصولها على الابتدائية وقريبا سيتم عقد قرانها على ابن خالتها ٠

سألها على الفور ..

- كم تبلغ من العمر ؟

- ثلاثة عشر لكن لن أزوجها الا عند بلوغها السادسة عشر .. اننا نعرف القانون جيدا والخطأ ليس فى طبعنا مثل كثير من الفلاحين ..

قالت الطبيبة معقبة :

- فى الحقيقة بعض الفلاحين يضعونى فى موقف حرج عندما يأتينى والد العروس يطلب شهادة تسنين وتكون ابنته لحظتها فى الثانية عشر من عمرها او الثالثة عشرة على الأكثر ويسألنى .. أن ادون فى الشهادة السن القانونية للزواج .. وبالطبع ارفض ويضطر للبحث عن طبيب آخر ..

اضافت زوجة شيخ البلد ..

وبالطبع يجد بدل الطبيب عشرا ..

قطعت الحديث بتعة التى جاءت وبصحبتها فتاتان ..

وقالت وهى تقدمها لنا ..

فاطمة وبهية ..

قالت الزوجة وهى تربت على كتف فاطمة

- فاطمة النبى يحرسها والدها فلاح يعمل بالأجر

ومكافح وطيب علمها بعرقه حتى حصلت على الثانوية  
ورفض زواجها رغم كثرة خطابها .

سألت الفتاة المثقفة :

- هل واصلت تعليمك للجامعة ؟

أضافت زوجة شيخ البلد .

- المصاريف كثيرة والحال يعلم بها ربنا .

قالت فاطمة :

- بالإضافة لصعوبة المواصلات الى المدينة والزحام  
والطلبة وكثرة الشبان الذين يركبون القطار يوميا . قطعت  
الحديث بهية وقالت :

- وانا أيضا أخذت الدبلوم بصعوبة ورفض والدي  
اتمام تعليمي رغم أنني حصلت على مجموع يؤهلنى  
للاتحاق بالجامعة وذلك لنفس الأسباب وأمنيته ان أجد  
وظيفة لتحسين حال أسرته .

قالت الطيبة موجهة كلامها لبهية :

- لو كنت حصلت على دبلوم التمريض كنت عملت  
معى فى الوحدة الصحية .

سرحت مع نفسى .

لهذه الدرجة تحرم الفتاة من التعليم .. فى امكان فاطمة ان تصبح طبيبة أو مهندسة تؤدى دورا جليلا فى المجتمع .. وفى امكان بهية أيضا لو واصلت تعليمها ان تصبح محاسبة أو مديرة شركة لها شان وكيان فى بلدها لكنه الفقر والجهل الكاتم على انفس العشرات .. والذى لا مخرج منه سوى التمرد على هذا الواقع المرير .

مر الوقت سريعا حتى أوشتك الغروب ان يكسو السماء بثوبه الرمادى .. استاذنا فى الانصراف بعد ما وعدت الفتاتين بالبحث عن عمل بصفة مؤقتة وبالفعل طلبت من كل منهما زيارة الوحدة الاجتماعية للماء استتمارة الرائدة والحق الاخرى بمشغل الفتيات ..

اصر شيخ البلد على اصطحابنا الى محطة الاتوبيس نظرا لصعوبة المواصلات وخطورة الطريق ليلا وأثناء سيرنا اشار الى مبنى كبير وقديم وقال :

— هذا دوار العمدة القديم .. تجمع شسباب البلد الواعى وفكروا فى استغلاله كمركز لمحو الأمية وعندما فشلت محاولتنا لتدعيمه من الجهات المسئولة ظلت عزيمة الشباب قوية ولم يياس وواصل العمل بالجهود الذاتية وتخرج بعض الفلاحين فى هذا الفصل المتواضع ومنهم والد فاطمة ووالد بهية .. تعلموا القراءة والكتابة على أيدي الشباب .. وكنا نريد ان نتوسع فى المشروع لكن مع الأسف لم نتمكن للأسباب السالفة الذكر ..

ثم أشار الى مبنى قديم شبه مهجور وقال :

- وهذا تبرع به أحد أعيان القرية وفكر الشباب في استغلاله ناديا .. لهم لكنهم في حاجة الى امكانيات وصلنا البلد وقبل أن يغادرها شيخ البلد قالت الطبيبة ..
- ان ما يفعله الشباب شيء عظيم ويفوق الوصف .. حقيقى ان عزيمة الشباب لا يوقفها أحد ..

اضفت قائلة :

في الامكان تنفيذ اى مشروع عن طريق الوحدة الاجتماعية أيضا بأن تسجل جمعية مجتمع بالقرية وسوف اتعاون معكم في تأسيسها والاشراف عليها ..

سأل شيخ البلد بكدر :

- وهل سيسمح لنا الرئيس ؟ .. ؟

اجبته ببسمة أمل :

- نحاول ونبدأ من جديد ..

( ١٤ )

## المفتش

اشتد البرد هذا الصباح وسقطت الأمطار غزيرة ومن  
ثم اغلقت باب مكتبي .. فجأة فتح بلا استئذان القادم  
يرتدى زى أهل الحضر ..

سالني بجرأة وهو يناولني بعض الأوراق :

— هذا طلب مساعدة مجندين لشقيقي بالجيش ونرجو  
صرفها باسم الوالد ..

اجبته وأنا أحاول التذكر بعدما فحصت الأوراق .

— اعتقد أنك مفتش التموين .. وجئتني من قبل لنفس

الغرض ؟

أجاب بجرأة :

— نعم ومرفق الأوراق السليمة لأنك اعترضت على

الطلب الاول نظرا لوجود بعض الاخطاء .

سحبت سجل مساعدة المجندين وقرأت أسماء الحالات  
التي تستحق المساعدة والأخرى ٠٠ المرفوضة وقلت له :

– الطالب مرفوض لأن شهادة الحيازة الزراعية مسجل  
بها ملكية الوالد لثلاثة أفدنة أى أنه لا يستحق .  
قال بغیظ ٠٠ وكأنه يأمرنى :

– اقرئى الأوراق التى معك الآن ٠٠ ومرفق بها شهادة  
حيازة جديدة تنفى سابقتها .  
أندهشت بعدما تصفحتها وقلت له ٠٠

فعلا ٠٠ تخلو من أية حيازة ٠٠ لكن هذا تناقض بين  
الشهادتين ٠٠

أجاب بانفعال :

– ما عليك الا أن تقومى بالبحث ولديك المستندات  
مستوفاة وكفى ضياع مصالح الناس ووقتهم ٠٠  
أجبتة بغیظ :

– لكن الطالب رفض لأن المجند لا يستحق المساعدة  
ولعدم انخفاض الدخل ٠٠  
واصل بلهجة الأمر :

– فى امكانك الغاء الطلب الاول وابحثى من جديد .

– كيف تفكر بهذا الاسلوب وقد حصلت على قدر كبير  
من التعليم ٠٠

رد بعنف وكأنما يهم بصقعى :

– مازلت احترم ضيافتك فى بلدنا ولا داعى لاستعمال  
العنف ٠

اشتعلت نار الغضب فى نفسى وفكرت أن الجأ لبعض  
المسؤولين فى المجلس المحلى للتصرف معه نظرا لعدم  
وجود رئيس الوحدة أو استدعى أحد العمال لطرده ولكنى  
خشيت أن أبدو ضعيفة أمام هؤلاء وغير قادرة على تحمل  
مسئولية العمل ٠٠ علما بأن المسؤولين قد وضعوا ابان  
اجتماع المجلس ثققتهم وايمانهم بقدرتى على مواجهة أية  
صعوبات ٠٠

قلت له بتحد :

أنا لست ضيفه ولكنى موظفة وأؤدى عملى كما ينبغى  
ووفقا للوائح المنظمة للعمل ٠٠

سأل بتحد :

ماذا سيحدث لو ألغيت الاستمارة واعتمدت الثانية ؟

ارجوك لا داع لتضيع وقتى ووقتك لأن ما تقوله هو  
عين الخطأ وذلك بعدما تأكدت بنفسى وأطلعت على سجلات

الجمعية الزراعية وذلك اثناء وجود رئيسها الذى نفى  
تماما هذا التناقض وأكد صحة الشهادة الأولى . .

غادر المكتب وهو فى حالة غليان من الغيظ بينما رحت  
أصعب غضبى فى فحص باقى أوراق البحث التى امامى عاد  
بعد قليل وبصحبتة موظف بالمجلس المحلى لم يسبق لى  
رؤيته الا نادرا . .

قال وهو يشير الى المفتش :

- هذا الشاب يهمنى أمره ووالده فى حاجة الى  
المساعدة . . ينبغى أن تكونى مرنة ياست ليلى . اننا  
هنا أسرة واحدة والغرض أن نساعد بعضنا .

قلت له بدهشة :

- اعتقد انك موظف وتعرف القانون ثم اذا خالفت  
اللوائح من الذى سيتحمل المسؤولية ؟

تلعثم لسان الموظف وحاول الهروب من الاجابة وعاد  
ليقول :

- ليس من الضرورى احضار الشهادة فوالده فقير  
وأهل البلد يعرفون ذلك حتى لو كان يملك قطعة أرض فهى  
فى حاجة للانفاق عليها . .

أجبتة بدهشة :

— حتى لو كان الأمر كذلك فلا بد من وجود ما يثبت ذلك ولقد تاکدت بنفسى . .

عاد شريط الذكريات لبضعة أيام مضت عندما قمت برحلة معاناه لهذا الغرض حيث ذهبت بنفسى الى مقر الجمعية الزراعية لفحص الأوراق بدقة والحصول على المعلومات من واقع السجلات . . وهى عبارة عن حجرة صغيرة ورديئة بنيت بالطوب النىء .

لحظتها كان الباب مفتوحا ولا يوجد صريخ ابن يومين وعندما سالت بعض الفلاحين عن المسئول عن هذا المكهف المهجور أفادوا بأن رئيس الجمعية لم يأت اليوم .

ذهب للسوق لقضاء بعض حاجاته . . دب اليأس فى نفسى ولم أجد الا ان اتجه لزيارة شيخ البلد للبحث عن الرئيس . .

وفى داره الواسعة استقبلتنى زوجته بحفاوة وهى سيدة فى الخمسين من عمرها وترتدى فستانا أسود وملسا يخفى ملامح وجهها . . بينما هو يكبرها بقليل وكان يرتدى جلبابا بلديا وطاقية . .

قال يابتسامة وهو يربت على كتفى :

الحقيقة يا ابنتى لم نجد أخصائية فى مثل حماسك وإخلاصك للعمل . .

وانتهز فرصة وجودى واستدعى معظم المستفيدين  
الذين لهم مساعدات فى الوحدة . .

بدأ هؤلاء يتوافدون على الدار الواحد تلو الآخر . .  
حضر فى البداية رجل شيخ فى الثمانين وقد ركب حمارا  
بينما صحبه شاب .

أما الثانى فهو مسن أيضا وقدم له الطالب ابنه المجند  
وقد مضى عليه أكثر من سنة ولم يجر له البحث حتى ذلك  
الوقت . .

والثالثة عجوز . . وفى حالة سيئة . .

سألتهم جميعا عن عدم ترددهم على الوحدة لاستكمال  
أبحاثهم :

— أفادوا فى صوت واحد بأنه لا أحد ساعدهم فى  
تلبية طلبهم أو أخبرهم بانهم يستحقون المساعدة بالرغم  
من أنهم لا يملكون من حطام الدنيا شيئا واعتقدوا ان  
طلباتهم رفضت .

شرحت لهم جميعا بان الذى يرفض طلبه هو الذى  
يملك أرضا زراعية . . وتعجبت لحال هؤلاء وذكرت  
كلام رئيس الجمعية الزراعية الذى كان يقول دائما :

معظم الذين يتقدمون للمساعدة من الفلاحين ليسوا  
فى حاجة اليها لأن لديهم حيازات زراعية بالاضافة للطيور  
والمواشى وزراعة الخضروات .

وانصرفت عائدة للجمعية الزراعية بعد ما اخبرنى  
شيخ البلد ان الرئيس هناك استيقظت على صوت الموظف  
يقول بضيق :

– لاشك انك صعبة للغاية .. هذا لم يكن يحدث قبل  
مجيئك ..

أجبتة بغيظ :

– هذا عملى ولست مسئولة عما يحدث فى الماضى  
.. ظل الموظف يلح على اكثر من مرة حتى البى للمفتش  
طلبه .. وفق رغبته وعندما لم يجد فائدة انصرف وبداخله  
بركانا من الغيظ بينما توجه مفتش التموين الى رئيس  
الوحدة وبعد مناقشة قصيرة معه عاد ليقول :

– سمعان بيه يطالب منك .. تنفيذ طلبى ..

أجبتة على الفور ..

– انفذ وفق اللوائح والقوانين الخاصة بالعمل وما  
ينطبق عليك هو الذى يسرى على أى مستفيد .. ثم  
كيف نفكر بهذا الأسلوب وتدرك تماما عقاب من يخالف  
اللوائح علما بأنك متعلم وخريج جامعة .. ؟

– اللوائح لا تطبق فى كل الأحوال بدقة ثم ان  
الضرورة لها احكام ..

اية ضرورة التى تدفعك للسلوك المنحرف .. ؟

قال بيّاس :

— اننى فى ائمس الحاجة لهذه المساعدة لانها ستعفينى  
من جزء كبير من التزاماتى المادية نحو الوالد المسن  
الذى يصير على ان اشارك بجزء من دخلى فى المعيشة  
لانى نقيم فى دار واحدة وهى بيت العائلة . .

المتشاركة وارجب عليك . .

واصل الحديث بخضوع وقد القى بجسده على المقعد  
وكانما قد اصابته هزيمة مروعة . .

انا متزوج واعول اولادا والمبلغ الذى ادفعه لوالدى  
شهريا يؤثر على مستواى ويسبب لى مشاكل مع زوجتى  
بصفة مستمرة .

كان وقت العمل قد اوشك على الانتهاء بينما مفتش  
التموين مازال ينتظر فى مكتبى ربما توقع أنه سيكسب  
عطفى واغير رأى مشفقة لكننى حملت حقيبتى واستاذنت  
وانا اقول له :

— هذا حق الوالد ولا ينبغى ان تمنعه مهما حدث من  
مشاكل ثم فى امكانك البحث عن عمل اخر فى الفترة  
المسائية .

انتفض واقفا وراح يخطو ببطء نحو الباب الخارجى  
وقد نكس رأسه لأسفل . .

( ١٥ )

## الحل في التوعية

فجأة غرست مخالبي في نافوخي ٠٠ ياله من صداع يبدو أن عمل اليوم كان مرهقا ٠٠ فلقد امتلأ مكتبي حتى بعد انتهاء وقت العمل بعشرات المستفيدين من الفلاحين الذين وفدوا من قرأهم البعيدة طلبا للمساعدة فلا فرق عندهم بين وقت العمل وساعات الراحة للأخصائية ٠٠

أحيانا كان البعض يطرق باب الاستراحة ليلا للسؤال عن ختم فقد من عملية واستمارة معونة شتاء مثلا ٠٠ المخ كانت حالتى تزداد سوءا مع مرور الوقت وترتفع حدة الصداع رغم الأسبرين الذى تناولته بكثرة ٠٠ ولم أجد الا أن أعرض نفسى على طبيبة الوحدة الصحية .

عندما ترامى لى المبنى الذى تزينه حديقة فى حاجة الى تهذيب اعتقدت أننى لست فى طريقى للوحدة الصحية

وخصوصا عندما اخترقت باب الدخول العتيق ٠٠ شعرت  
لحظتها اننى بداخل اصطبيل للخيل أو كهف مهجور  
مسكون بالأشباح ٠٠ لقد تعرت الأشجار وتجسدت من  
كسائها الاخضر ٠٠ ربما من فعل رياح الشتاء أو عدم  
العناية بها ٠٠ تناثرت الأوراق بطريقة فوضوية هنا وهناك  
٠٠ وقد غطاها التراب بالقرب منها الأغصام ترعى فى  
حضان الحشائش التى اختفى معظمها وما بقى منها غدا  
جافا وذابلا ٠٠

بعض المرضى كانوا ينتظرون فى فناء الوحدة ٠٠  
فهذه سيدة نحيفة قد اصفر وجهها ٠٠ ألقت بجسدها المتعب  
على بعض الحشائش وراحت ترضع طفلها العليل الذى  
هده المرض ٠٠ وهذا رجل مسن قد شحب وجهه وبسدا  
للناظر كهيكل عظمى ٠٠ كان يمتطى حمارا وتلك فتاة  
صغيرة وقفت تتلوى من الغص ٠٠

كانت الطبيبة مازالت مشغولة فى الكشف ٠٠ قالت  
بصوت مجهود عندما لمحتنى :

— لم يعد امامى سوى حالات قليلة وسوف اتفرغ  
للحديث معك .

سألتها وأنا اكافح ألم الصداع :

— لماذا يظل المرضى هنا وقد انتهى وقت العمل ؟

– مازلت جديدة ولم تدرسى بعد طبيعة العمل هنا ٠٠  
ففى الصباح تستقبل المستشفى المرضى للعلاج مقابل  
مبالغ رمزية أى قيمة التذكرة وفى نهاية النهار يبدأ  
الكشف فى العيادة الخارجية ٠

– سألتنى الطبيبة أن انتظرها فى الاستراحة حتى  
تنتهى من الكشف على سيدة مسنة يبدو انها تعاني من  
انيميا اصابنى الذهول عندما وجدت نفسى فى هذا الركن  
من المبنى الذى لا يقل فى مستواه عن احدى أوكار رواد  
الموالد ولم أصدق اننى الآن فى استراحة طبية الوحدة  
الصحية ٠٠

سألتها ٠٠ وأنا أمسك رأسى بيدي لتخفف حدة  
الألم :

– كيف تعيشين بهذا الشكل يا دكتورة ٠٠ ؟

قالت وهى تعيد أدوات الكشف الى مكانها وقد هدها  
التعب :

– لا تشغلى بالك بما هو كائن واعلم أنك ستستأين لكن  
ماذا أفعل ؟ أم على وهى عاملة النظافة الوحيدة بالوحدة  
تجدينها الآن اما فى السوق تباع مخلفات الذبح لمعاونة  
زوجها الجزار أو تعمل فى تجفيف البلح الذى جمعه من  
نخلها ٠

أجبتها بضيق وسام :

– لا أصدق ما أرى .. فرش السرير غير منظم وأوانى  
الطعام ملقاة على الأرض وقد تجمدت فيها فضلات الطعام  
لدرجة أن الذباب لا يفارقها .. بالإضافة لبعض القمامة  
التي تتناثر على الأرض .. لابد اذا من عقابها ..

لقد مللت من كثرة العقاب .. خصمت منها أياما  
وجاءتنى تبكى وانذرتها بصفة رسمية ولا فائدة توعدننى  
بالاستقالة ولا تنفذ ..

اوقفتنى عن الحديث نوبة الصداع التى عادت بشدة  
لتولمنى .. سألت الطبيبة على الفور :

– أرجوك انقذينى من شدة هذا الألم ..

قالت وهى تعد لى سرير الكشف وقد أمسكت  
بالسماعة :

– يبدو أنك مرهقة وفى حاجة لأجازة استجمام ..

وبعد فترة صمت سادت بيننا قالت بابتسامة :

ذات صباح لمحت شابا وسيما يجلس معك وقد اندمجتما  
فى الكلام

سألتهما وقد خفت حدة الألم :

– هل تعرفيه ؟

بالطبع والده المرحوم الحاج حسن مكاوى من كبار  
أعيان البلدة بل والمركز كله توفى منذ اعوام قليلة تاركا

ثروة وأرض وعمارات فى المدينة ودوار فى القرية ٠٠ وقد  
لحقت به والدته بعد عام من رحيله ولا يوجد معه سوى  
شقيقة تدرس فى الجامعة وتقيم فى القاهرة حاليا بينما  
أحمد يقيم بمفرده فى دار كبيرة ويشرف وحده على عشرة  
أقدنه ٠٠

– يبدو أنك تعرفين عائلته جيدا ٠٠

اقتربت منى وسألتنى هامة :

لماذا لا تهتمين به ٠٠

– ربما نشأت بيننا صداقة حميمة ٠٠

يبدو ان السنارة غمزت ٠٠

قطع الحديث صوت العامل ٠٠

– حالة كشف خارجية يا دكتورة .

تأهبت للانصراف لكن الطبيبة استوقفتنى لاشاركها ٠٠

– ماذا سيقول عنى الفلاحين :

– طبيبة تحت التميرين .

بينما تغادر باب الوحدة الخارجى استوقفنا بعض  
المرضى الذين كانوا فى انتظار أدوارهم التفوا حول  
الطبيبة وارتفعت أصواتهم فى وجهها ٠٠

— حرام يادكتورة تتركينا وتمشى ..  
— وأنا ابني أصبح لحم على عظم ..  
— اغيثنى يا دكتورة .. المغص سكاكين تمزق فى  
بطنى ..

صرخت الطبيبة فى وجوههم جميعا وقالت :  
— أنا فى طريقى لحالة كشف مستعجلة .. مريضة  
فى خطر ..  
لمحت الطبيبة امرأة تحمل طفلا هزيلا .. قالت لها  
بعنف قبل ان تغادر المبني :

— عندما كشفت على ابنك من ايام حذرتك من سوء  
ارضاعك له من ثديك لأنه مصاب بنزلة معوية شديدة  
واخذت العلاج ووعدت بالتنفيذ واطاعة التعليمات لكن مع  
الأسف عملت « وذن من طين وأخرى من عجين » وانت  
الآن ترضعيه للمرة الثانية وربما سيحدث ذلك مسرات  
عندما تعودين للدار .

كانت المرأة مازالت مستمرة فى الرضاعة وكان هذا  
الكلام لا يعنيها فى شىء .. اقتربت منها الطبيبة اكثر  
وقالت فى صوت مرتفع :

فلو ساءت حالته المرضية او مات تصبغ الطبيبة هى  
المسئولة .

شعرت المرأة بالخجل ثم أعادت ثديها الى صدرها وهى  
تقول فى ضيق .

– يموت « قال الله ولا فالك » اصبره برضعه حتى  
نعود للدار وأعمل له الأكل ..

لاحقتها الطبيبة بغیظ وقالت :

– وعندما يبكى تصبريه بأخرى وغيرها حتى يكف  
عن البكاء .

ألفت السيدة نظرة حادة وانصرفت بلا مبالاة ..  
وهى تهز رأسها وتمصمص شفقتها علامة التعجب ..  
وظلت الطبيبة تسير بجوارى صامته .. شاردة ...  
حائرة ...

قلت لأخرجها من حالتها :

– التوعية الصحية المكثفة هى الحل ..

الجايت بأسى :

– لافائدة من الكلام .. لقد تحجرت عقولهم وفقدوا  
القدرة على الفهم الصحيح ..

لاحقتها بحماس وقلت :

– لابد انن من تضافر كل أجهزة الدولة لهذا  
الغرض ..

– معظم الذين يأتون للكشف مرضى بالصدر وذلك نتيجة تعرضهم لنزلات البرد بصفة مستمرة ثم ان معظم القرويين يعيشون فى عشش على شاطئ النهر .

ذهبت بفكرى للامس القريب . . تذكرت حالة لأسرة تعيش فى عزبة على الشاطئ . . مكونه من سيدتين ورجل هو زوج كليهما وبضعة اطفال كانوا يرتدون ملابس خفيفة فى عز البرد . شعرت بالرتاء لحالهم ومن ثم سألت السيدتين :

– لماذا لا يرتدى الأطفال ملابس ثقيلة فى هذا الشتاء . . ؟

لقد تعود الأطفال على ذلك .

سألت طفلة كانت ترتعد من البرد :

– هل أحضر لك فستانا . . ؟

– هزت رأسها علامة الموافقة بينما كانت الأم بالقرب

منها تحاول أن تخفى شعورها بالحرج . .

سألتنى الطبيبة لتخرجنى من شرودى :

– فيم تفكرين ؟

نعم رأيت بنفسى وتأكدت . .

واصلت الطبيبة الحديث بياس . .

ومرضى الأنيميا الخبيثة الذين يأتون للكشف وهم

جلد على عظم . . لا يأكلون شيئاً ذا قيمة رغم ان معظمهم

يملك مواشى وأرضا زراعية وعندما أسأل المريض عن ثور  
الطعام الذى يأكله يقول ببساطة :

— خير ربنا كثير لكننا فى حاجة الى فيتامينات ٠٠

أما مرضى البلهارسيا فرغم أن العلاج متوفر بالعيادة  
الا أن المريض لا يحضر لتعاطيه لأنه يرغب فى الحصول  
عليه مرة واحدة واحيانا لا يثق فى الطبية ويتعامل مع  
حكيم القرية ٠٠ ذلك الذى يتقمص دور الطبيب ويضمر  
بصحة المرضى ونهت كثيرا لخطورة هذا المرض لدرجة  
اننى كنت استدعى مريض البلهارسيا فى حجرة الكشف  
وأشرح له خطورة المرض وضرورة اكتشافه فى وقت مبكر  
واتخاذ اجراءات العلاج بسرعة والتوجه فورا للعيادة  
لكن للأسف يعتقد المريض اننى الجأ لهذا الأسلوب لرغبتى  
فى النقود وبالفعل حاول أكثر من مريض منى نقودا  
مقابل حصوله على الدواء ٠٠

— لا شىء سوى التوعية المستمرة وضرورة اتباع  
بأحدث الأساليب ٠٠

أجابت الطبيبة بياس :

— فى الحقيقة اشعر بالملل من متاعب هذه المهنة فما  
الذى ساجنيه أو يعود على بالفائدة حينما اعالج بضعة  
أطفال ينتمون لأسرة فقيرة أو تكاد تكون معدمة ٠٠ هذا  
البائس لا قيمة له فى أسرته التى قد تكون معدمة ثم ماذا

سيقدم للدولة اذا شفى وأصبح رجلا وما الدور الذى  
سيؤديه بين آلاف من البشر ..

اجبتها بدهشة :

— لا تنسى ان هذا الطفل فى مكانه ان يقدم الكثير  
لوطنه فقد يصبح طبيبا أو مهندسا أو فنانا أو حتى فلاحا  
يزرع ولو فى أرض الغير ..

— ثم كيف تكونين طبيبة وتفكرين بهذا الأسلوب ..  
الطبيبة انسانة أولا ..

قالت بياس :

— مازلت حديثة العهد بالعمل فى الريف ومازال  
تأثير الدراسة فى فكري اما انا فقد عشت هذه المعاناه على  
مدى خمس سنوات ومع الأسف لم أجد أملا فى شىء بل  
كلما مرت الأيام كلما ازدادت الحال سوءا ..

اجبتها ببسمة أمل :

— لا ينبغي ان تياسى وعلينا بالصبر والجهد المتواصل  
حتى نأخذ بأيدي الجهلاء ونخرجهم من سراديب العتمة  
الى أفاق النور ..

( ١٦ )

## الجرامى

تركنت الطبية مع مرضاها وأخذت طريقى الى  
الاستراحة بعد النزهة القصيرة التى قمنا بها على شاطئ  
الترعة وقد ارتاحت نفسى قليلا ٠٠ الجو بارد هذا المساء  
والطر بدأ يسقط بينما أبواب المهجرين مغلقة ٠٠ صعدت للسكن  
واغلقت الباب ٠٠ فى لمح البرق سرى الخوف فى كل  
كيانى ربما نتيجة لانقلاب الجو فجأة ٠٠ ساد صمت  
رهيب ٠٠ انقطع التيار الكهربائى ٠٠ دب الرعب فى نفسى  
٠٠ تحسست الطريق فى وحشة العتمة لابحث عن شمعة  
فى الأشياء المهملة فى المطبخ واشعلتها بصعوبة ٠٠ وبينما  
كنت جالسة على ضوءها وأنا ارتعد من الخوف شعرت  
بضوضاء تحت الشبابتك المغلقة وانطلقت أصوات عالية  
كأدت أن تخرق آذان الجدران ٠٠

صوت ١ - جرامى ٠٠ جرامى ٠٠

صوت ٢ - حرامى ؟ الابله موجوده ٠٠

صوت ٣ - لا سافرت ٠٠

صوت ٤ - اين هذا الضوء وكيف صعد الحرامى ؟ ٠

تملكنى الرعب واحكمت اغلاق باب الشقة لكن  
الأصوات المزعجة لازالت تتسرب الى أذنى كتيار الهواء  
البارد العنيف ٠٠ حتى كادت ان تصيبنى بالصم ٠٠ ومن  
بين هذه الأصوات انطلق صوت ٠٠

- لقد صعد الحرامى من شيش الشباك المكسور ٠٠

همست لى نفسى بخوف ٠٠

منك لله يا رئيس الوحدة ٠٠ طلبت النجار أكثر من مرة  
لاصلاح الشباك المكسور ولكن كنت تعمل ٠٠ وذن من طين  
وأخرى من عجين ٠٠ بسرعة البرق جريت لحجرتسى  
واغلقت الباب باحكام شديد بعدما تأكدت من وجود حرامى  
بالاستراحة ٠٠ وقررت الا اغادرها الا بعد أن ينصرف  
ولياخذ ما يريد ٠٠

نظرت من خلال شيش الشباك المطل على فناء الحجرة  
واذا بى أجد جمهرة من الفلاحين فى حالة صياح وصراخ  
٠٠ ومع مرور الوقت وارتفاع حدة الضوضاء والأصوات  
المزعجة ازداد عدد الفلاحين وبعد قليل حضر بعض عمال  
الوحدة المقيمين بالقرية ٠٠

– فجأة شعرت بحركة داخل الاستراحة .. لزممت  
الصمت وتسمرت فى مكانى بجوار شيش الشباك بينما  
جسدى ينتفض من الرعب ..

سألت بصوت مرتفع وبخوف :

– من بالصالة ؟

اصابتنى الدهشة عندما وجدت أحد عمال الوحدة  
المحلية فى صالة الاستراحة ثم اتجه بسرعة نحو باب  
الخروج .. بينما مازالت أصوات الفلاحين ترتفع فى  
صراخ ..

قال العامل بخجل :

– متأسف ياست هانم .. اعتقدنا فى وجود حرامى  
.. انتهز فرصة انقطاع التيار الكهربائى واقتحم السكن ..

– لم أتمالك أعصابى وفى لمح البسرق فتحت باب  
الحجرة على مصراعيه وصرخت فى وجوه المتجمهرين  
الذين تجمعوا بسرعة فى الصالة بينما عاد التيار ..

– هذه جريمة .. وشيء أغرب من الخيال .. لا  
أخلاق بالمره ..

قالت واحدة من المهجرات :

– افكرناك سافرت

لاحقتها أخرى وقالت :

- عندما تنوين الخروج المفروض أن تعرف
- وأيضا عندما تعودين لأننا نخاف عليك ولا أمان بالدار

قال العامل بخجل :

- كم من حوادث ترتكب ليلا وفي الغيطان وعلى شاطئ الترععة ••

أضافت فلاحه بحزن :

- منها حادثة الصبية التي وجدوها غارقة في الترععة من أسبوع •• جميلة ولا البدر في سماه والمصيبة ان بطنها كانت منتفخة ••

همست سيدة في اذنها :

- سدى فمك •• ان الله حلیم ستار ••

قالت مهجرة بصوت منخفض :

- تخلصوا منها قبل ان تجلب العار ••

صاح فلاح بحماس :

- ليست من بلدنا •• جرفها التيار من بعيد ••

قلت لهم •• وأنا أعود للاستراحة :

- أشكركم على اهتمامكم بى •• لكنى عدت فى وقت

متأخر لأجد كل الأبواب مغلقة ولم أرغب فى ازعاجكم ••

( ١٧ )

## نادى الطفل

وأنا فى طريقى لمكتب الرئيس لاستطلاع رأيه حول  
امكانية استضافة المدرسات فى استراحة الوحدة . لم  
انس أن ألقى نظرة فاحصة على أبناء الحضانة وكان وقت  
العمل على وشك الانتهاء بينما بعض أولياء الأمور فى  
انتظار ابنائهم . فمن عادة الدادة أن تجمع الأطفال الذين  
سيغادرون الدار مع ذويهم لكنها لم تفعل هذا اليوم انتابنى  
القلق وشعرت بالمرعب خشيت أن يكونوا قد أصيبوا بسوء  
. . أرسلت لاستدعائها مع أحد العمال لكنه عاد ليقول :

— لا اثر للدادة والأطفال .

ارتعدت أوصالى من الخوف ودار بخاطرى عدة  
أسئلة .

— الى أين ذهبت بهم . . هل لنزهة خلوية على

الطريق الزراعى . ؟ أم سحبتهم لحديقة المركز المجاور  
للسوق ؟

– ربما أخذتهم ليحملوا معها بعض المشتريات أم  
سحبتهم للعمل فى حقلها . فموسم جنى الطماطم بدأ منذ  
أيام وهذا ليس بغريب عليها . فلقد كان بعض الكبار منهم  
يتخلفون عن طابور الصباح أحيانا وإذا سألتها عنهم تقول  
بخبت :

– ذهبوا لمساعدة الأهالى فى الغيط . فالأجر الذى  
يحصل عليه الطفل فى اليوم لا يقل عن جنيه .

شد انتباهى باب نادى الطفل المفتوح على غير العادة .  
تسرب الى سمعى بعض الأصوات المضطربة وبسرعة البرق  
توجهت الى هناك . رغم اننى لم أكن أستريح لوجود الأطفال  
فى النادى فالتراب قد كسا الأرض وامتلاً الجو بالغبار  
الخانق نتيجة لتيار الهواء المتسرب من السقف العارى .  
وقد نبهت كثيرا بعدم استعمال النادى حتى يتم اصلاحه  
وكلفت أحد العمال بتعليق لافتة كتب عليها ما يفيد بأنه غير  
صالح للاستعمال لكن الدادة كانت تعمل ودن من طين  
وأخرى من عجين « وحذرتها أكثر من مرة من خطورة تواجد  
الأطفال فى هذا المكان فقد سبق أن سقط بعضهم من فوق  
المراجيح واصيبوا بجراح . بالاضافة الى اننى مللت  
الحديث مع الرئيس بشأن الاصلاح وكنت كلما سألته عن

ضرورة تطوير النادي يخلق لى عشرات الحجج • فمرة يدعى بأنه لا يوجد ميزانية واذا وجد فمن الأفضل استغلالها فى تطوير حجرة الألعاب الداخلية وتزويد المكتبة بالجديد من الكتب واخرى يوهمنى بأن ما بقى من ميزانية تم استغلاله فى تطوير الوجبة الغذائية واشعر بالأسى عندما ألقى نظرة فاحصة على غذاء الاطفال الذى لا يزيد عن الوجبة المكونة من المعونة الامريكية • برغل وزيت • حتى علب الزيت الذى يطهى به البرغل كانت تختفى من مخزن النادي بمجرد ورودها وفجأة أعثر عليها فارغسة فى احدى الدواليب المهملة •

واذا سألت المدير عن كيفية تحسين الوجبة يرد فى برود ولا مبالاة :

— فلوسهم قليلة وأرجو ألا تشغلى بالك بهم •• انهم أبناء فلاحين •• تعودوا على أكل المش والجعضيض ولم يعتادوا على اكل اولاد الذوات •

واذا سألته عن كيفية استغلال فلوسهم وهى حصيلة الاشتراكات التى يدفعها الأبناء كل سنة أى بمعدل خمسين قرشا للطفل بالاضافة لاعانة الوزارة السنوية •• لايجد الا أن ينسحب فى صمت وقد حفر الغضب على وجهه بعض المتجاعيد وتطير الشرر من عينيه ويقول •• لاشك أنسك صعبة للغاية •• كوني مرنة ولا داعى للشغب •

كان ذلك مازال يورق فكري وأنا فى طريقى للنادى  
وعندما اقتربت من عتبة الباب هالنى ما رأيت كان منظرا  
مقززا • تمنيت لحظتها لو كنت المسئولة لفصلت الدادة  
على الفور •

كانت تجلس أمام الابناء بملابسها السوداء الرثة والتي  
لاستعملها الا اثناء العمل فى الغيط وقد امتلأ حجرها  
ببعض الأطعمة الريفية •• كانت تأكلها فى نهم وبطريقة  
هجمية •• التف حولها الأطفال كأنهم فى ساحة لمشاهدة  
احدى الحواة وقد امتدت نواياهم كمن يرغب فى لقمة  
تصبر اليتيم وتشبع المسكين •• يستجدون بعض الطعام ••

هذا خطأ ولا يليق بفلاحة تعرف الأصول وموظفة  
أيضا •

انتفضت على الفور واقفة وقد تناثر بقايا الطعام على  
الأرض وقالت بغضب وانفعال ••  
حتى اللقمة تحرم علينا ••  
أجبتها وأنا أتمالك أعصابى :

— تملكين دارا وفى امكانك تناول الطعام فيها  
وبالطريقة التى تعجبك ••

قالت بغیظ وهى تنفض ملابسها مما علق من طعام :  
— من طلعة النهار ياست ليلى لم يدخل معدتى شىء

بالإضافة الى انى اشقى فى الحضانة والغيط والدار من  
حقى • أرم جسمى بلقمة •• أصبر بها معدتى حتى أعود  
لدار ••

– فى امكانك اذا شعرت بالجوع تطلبى اذن وتأكلى  
فى أى مكان بعيد عن أعين الاطفال ••

– انهم اشقياء •• يضربون بعضهم ويبكون ويتعبوننى  
•• فكرت أن أخرج بهم فى حوش الوحدة ليشموا بعض  
الهواء ••

قطع الحديث أحد العمال وقال بلهجة سريعة :

– اولياء الأمور فى الانتظار ويسبون فى النادى •  
سألته على الفور :

– ان كنت تعرف الأبناء فاجمعهم بسرعة وسلمهم  
لذويهم ••

فى لحظات عاد بالأطفال لاولياء الامور •• وقال قبل  
أن ينصرف :

– بعضهم لا وجود له بالدار ••

ارتفعت درجة حرارة المقلق فى نفسى وسألت الدادة :

– أين باقى الأبناء يا دادة حميدة ••

أجابت بخبث :

- - ربما فى دورة المياه او فى الغيظ .
- - أى دورة واى غيظ فى هذا الوقت ؟
- - أقصد منحل العمدة ياست ليلى . . فهو قريب من هنا . . هم يحبون اللعب والفرجة على المنحل .
- - ابحتى عنهم بسرعة واجمعهم فى فصلهم حتى ياتى اولياء الأمور لاستلامهم او وصلهم بنفسك الى أهاليهم انصرفت وهى تقول فى غضب :
- - غيظى افضل من العذاب الذى أعيش فيه مقابل قروش من وظيفة الحكومة التى تكدر حياتى . .
- سألتها بدهشة :

- - هل ستقابلين أولياء الأمور بملابس الغيظ . . أين زى العمل أم نسيت أنك عاملة فى نادى الطفل ؟ المدير لايسمح لنا به الا فى المناسبات كيوم العمل الاجتماعى او زيارة مسئول من الوزارة والاطفال مثلنا . أنت جديدة يا ست ليلى ولا تعرفين التعليمات . .
- عادت ذاكرتى للأمس القريب وهمست لنفسى :

- - منذ وقعت عينى عليهم لأول مرة وهم لا يرتدون سوى الملابس المختلفة الألوان والأشكال . .

فهذا يأتي بجلباب وطاقية وأخرى بفسستان وثالث  
يرتدى بيجامة •

فجأة ساد الجو هرج ومرج •• أخرجنا مما نحن فيه  
أحد الأطفال الذى ضرب زميله بحجر فسال منه الدم وآخر  
حاول أن يصعد للمرجيحة المكسورة ليلهو فكادت أن  
تسقط به لولا تدخلى وثالث جلس على التراب •• يصنع  
بيوتا من الطين وقد ملاً قارورة بالمياه وراح يصب منها  
فى بعض الحفر •• والرابع كان يبكى فى ركن ما بعيداً عن  
الأطفال •

سألت الدادة أن تصحبهم لقاعة المكتبة ليشغلوا مابقى  
من وقت فى القراءة حتى لو استعملوا القصص القديمة  
التي عفى عليها الزمن فهي أفضل مما يفعلونه :

تسمرت فى مكانها وقالت فى خوف :

— لا مانع من جمعهم لكن داخل المكتبة لا •• هذه أوامر  
الرئيس •• يخشى أن يكسروا اللعب أو يقطعوا المجلات  
لأنهم أولاد فلاحين وتعودوا على اللعب فى الجرن أو الساحة  
والجلوس على المصاطب •• ولذلك أمر سمعان بيه بعدم  
استعمال المكتبة إلا اذا وجدت أمينة لها ••

همست لنفسى بكدر :

— اذا كانت اللعب التي تزين المكتبة مكسورة وقديمة  
ومعظمها من الحيوانات والطيور البلاستيك المتأكلة بعضها

مكعبات ويبدو انها كانت مغطاة بالورق المرقم ولكن تعرت  
بفعل الزمن وتحولت لقطع خشبية مهملة لا ترمز لشيء .

اخرجنى من شرودى صوت الدادة وقد عادت وهى ترتدى  
فستانا مزركشا بالورد وقد عصبت رأسها بمنديل بترتر :

– اتمنى أن تكونى راضية عنى . .

على أية حال . . هذا افضل مما كان رغم أنه ليس  
الزى الرسمى :

– ملابس الحضانة فى الدولاب والمفتاح مع المدير . .

أين هو الآن ؟

– فى دوار العمدة . .

سألتنى قبل ان تغادر الوحدة للبحث عن الأطفال . .

هل تطلبين شيئاً ياست ليلى ؟

– تذكرت امينة المكتبة التى لم ارها منذ بضعة شهور  
حيث التقيت بها فى الأيام الأولى لاستلامى العمل ثم اختفت  
وقلت لها :

. – اين بهية امينة المكتبة . .

اجابت وهى تمصمص شفيتها علام التعجب ؟

– الله أعلم . . يمكن أخذت اجازة مرضية أو تسعى  
لنقلها أو اتجوزت . .

قلت لها بتعجب :

– الشيء الغريب انها قضت مدة طويلة معنا ولم تتخلف ليوم واحد وفجأة اختفت ..

تذكرت آخر لقاء بيننا ( كانت لحظتها تبدو حزينة وعندما سألتها عن السبب اجابت والدموع فى عينيها .  
امضيت فى عملى كامينة للمكتبة ما يقرب من سنة .. عانيت خلالها من سوء معاملة الرئيس وعدم استجابته لآى طلب لصالح المكتبة علما باننى حديثة التخرج وكلى طموح لاثبات وجودى كموظفة وعندما جاءت الميزانية الخاصة بالنادى فكرت فى شراء كتب جديدة تتناسب مع مستوى الأبناء لكن مع الأسف كنت كلما طلبت منه شيئا اى الرئيس يصرخ فى وجهى ويقول :

– الأولاد ليسوا فى حاجة لطلباتك هذه .. ولا تنسى يا بهية انهم أبناء فلاحين .. لا يعجبهم الا الحصان المصنوع من الطين والعروسة المكونة من الجلة .. وتواصل بهية بمرارة ..

هذا بالاضافة الى اننى لا احصل على الأجر المقرر لى لأنه رفض تثبيتى حتى لا أصبح عبئا على الميزانية ويصبح فى امكانه الاستغناء عن خدماتى فى أى لحظة اذا خالفت تعليماته .

قطعت الدادة حديث الذكريات وقالت :

– لقد تعبنا ولا فائدة ٠٠ البخل فى دمه رغم الثروة  
التي يتمتع بها من أرض وديار وحدائق ٠٠ فجأة أقبل العامل  
صابر مهرولا وقال بقلق :

– بعض أولياء الأمور مازالوا فى انتظار الأبناء  
واحوالهم لاحول لها ولا قوة ٠

صرخت فى وجه الدادة وصابر وعامل آخر ٠

– اخرجوا الابناء من حوش القرافة ٠٠ مشيرة للنادى  
واحضروهم لمعرفة عدد المتخلفين ٠٠ بعد لحظات عاد  
صابر ليقول :

– لا يوجد الا ابن واحد من ابناء الآباء المنتظرين وبق  
ولد وبنت لا أثر لهما ٠٠ لافى الفناء ولا فى الدار كلها ٠٠  
دب الخوف فى نفسى وسالت الدادة على الفور :

– ابحثى مع صابر عنهما ولا تعود الا بصحبتهما والا  
سنعرض للأذى جميعا ٠٠

اخشى ان يكونا قد غادرا باب الروضة وتاهما فى  
حارات القرية أو سقط أحدهما فى الترعة وداست الآخر  
جاموسة وخصوصا ان الطريق الزراعى ملئ بالعربات  
وكثير الطبات ٠٠

قالت الدادة بهدوء ولا مبالاة :

– لا تخافى الأولاد من البلد ويعرفون كل خرم أبرة  
فيها . .

هؤلاء أمانة ولا بد من تسليمها لأولياء الأمور دون أن  
يمسهم أى ضرر .

غادرت الدادة المكان ومعها صابر وبصحبته ما بقى  
من الأطفال .

لحقت بهما وقلت :

– ابحتا عن الطفلين فى كل مكان . . فى الغيط وعند  
الجيران ووصلا كلا الى داره وتسليمه لولى أمره .

استدعيت أولياء الأمور المنتظرين بفارغ الصبر لمكتبى  
سبلا فى صوت واحد بقلق :

كل الأطفال عادوا لاهاليهم ولم يتغيب سوى ابناؤنا :

– لم أكن أقل منهما قلقا لأننى المسئولة الوحيدة هنا . .  
فالمدير ما زال لم يأت بعد . . فلو حدث للطفلين أى سوء  
كان يغرقا فى الترع مثلا . . ماذا سيكون موقفى ؟ الأطفال  
هنا كثيرون الاستحمام فى الترع أو يأكل أحدهما ذئب جائع  
فى لحظة الظهيرة . . وتدوس الآخر عربة طائشة من تلك  
المتى تمر سريعا على الطريق الزراعى . . لا شك أننى لمن  
أفلت من العقاب . . فربما سيكون هناك بلاغ ضدى فى  
النهاية أو شكوى للوزارة . .

كادت رأسى ان تنفجر من كثرة التفكير وشعرت  
بالدوار .. أخرجنى من شرودى صوت الأبوين الذى كاد  
ان يهز الجدران ..

أين الطفلان يا حضرة المشرفة ؟

أجبت وأنا أحاول ان أتمالك أعصابى ..

بالتأكيد سيعودان بعد قليل .. فالأطفال يحبون اللعب  
دائما ..

رد احدهما بأسى ..

حذرنى بعض الفلاحين من هذا النادى حيث تسود  
الفوضى ولا يجد فيها الاطفال الرعاية اللازمة لكننى صممت  
على الحاقه وخصوصا عندما بلغنا ان بالحضانة مشرفة  
جديدة ومتحمسة للعمل .

لاحقه الآخر وقال بانفعال ..

— قدمت لابنى هنا والدته واقنعتنى بان النادى تغير  
عندما دخله دم جديد .

قطع الحديث صابر الذى جاء سريعا وقد تغير لونه  
وقال :

— بحثت عنهما فى كل حارات القرية حتى بعض الديار  
دخلتها لكن لم أجد لهما أى أثر .. مريت على شيخ الزاوية  
ليعلن عنهما فى الميكروفون .

ما كاد العامل ينهى لكلامه حتى صرخ الرجلان فى صوت واحد :

— هذا يعنى ضياع الطفلين وليس أمامنا الا أن نبليغ البوليس ..

ازدادت حدة القلق فى نفسى ودار فى ذهنى :

— لاشك انهما سيتهمانى بالفوضى وعدم القدرة على تحمل المسئولية فى حالة ضياع الأطفال وسينشر هذا فى كل انحاء القرية بل القرى المجاورة وبالتالي لن يتعامل الأهالى جميعا مع النادى هذا بالاضافة للعقاب الذى سأتعرض له من قبل المسئولين .. من الأفضل انن أقدم استقالتي وأعود للقاهرة قبل ان تندلع العاصفة .. لكن ذلك يعتبر هروبا ..

قطع حديثى مع نفسى أحد الرجلين وقال :

— عندها حق زوجة عمى العمدة .. حذرتنى أكثر من مرة من الفوضى التى تملأ النادى ..

لاحقه الآخر وقال بمرارة ..

— لو كنت سرحت ابنى فى الغيط كأولاد الفلاحين كنت عرفت طريقه .. وماذا يفعل؟! تذكرت كلام زوجة العمدة عندما قالت لى اثناء زيارتى لها :

– كل مشروعات الوحدة وهمية ٠٠ لا أساس لها من  
الصح ٠٠ الخ ) ٠

ربما كلامها فيه كثير من الصح ٠٠ فهي مقيمة وزوجة  
رجل مسئول فى القرية وتعلم كل صغيرة وكبيرة فيها ٠

ما زال كلام الرجلين يرن فى اذنى كاطبل وتمنيت لو  
تحتوينى طاقية الاخفاء حتى لا تجرح كرامتى وأتعرض لما  
لا يحمد عقباة ٠٠

فجأة انتفض الرجلان فى حالة ذهول وغادرا بساب  
الوحدة فى حالة ذهول وغضب ٠٠ لحقت بهما وحاولت  
تهدئتهما وقلت :

– علينا بالصبر حتى تعود الدادة فربما تحمل اخبارا  
سارة ٠٠ ولكنهما واصلا السير والشرر يتطاير من عين  
كليهما ٠٠

تنفست الصعداء وبدا القلق ينسحب من نفسى رويدا  
عندما لحقت الدادة من بعيد وقد امسكت بالطفلين ٠

وبسرعة البرق لحقت بها وسألتها بلهفة :

– أين عثرت عليهما ؟

أجابت بهدوء وخجل :

– فى غيط الطماطم ٠٠ يعملان مع اولاد الفلاحين فى  
جنى المحصول ٠٠

قلت لها ساخرة :

– فى غيطك طبعا ؟؟ !

قالت فى جرأة وهى تضحك :

– غيطى امان ٠٠ وأفضل من غيط الجيران ٠٠

( ١٨ )

## التعبان

غريب هذا المساء • لم يطرق النوم عيني حتى وقت متأخر من الليل • ربما من ضغط العمل ومشاكله لدرجة أنني كنت استغل الجزء الكبير من انجازته بسكنى الخاص كمغتربة فى استراحة الموظفين ورغم أنني كنت أتعرض لأشياء غريبة كسوء فهم بعض الجيران الذين يقيمون فى الدور الأرضى للمبنى • وهم من المهاجرين فاذا ما غادرت السكن مثلا للسفر والمبيت خارجه يحرضون بعض العمال للتسلل ليلا بحجة وجود حرامى او مسا شابه ذلك فى الاستراحة • ولقد حدث ذلك فى منتصف احدى الليالى لدرجة أنني وجدت نفسى وجها لوجه أمام العامل الذى قفز من النافذة المطلة على حجرة نومي وتسبب فى فزعى وحمدت الله أنني استيقظت فى التو واللحظة •

سبب هذا الحادث توترا فى أعصابى وقبل الفجر بقليل  
جذب النوم عينى • انقابتنى رؤية مخيفة انتفض جسدى  
على أثرها فزعا • ثعبان أسود كبير الحجم هاجمنى وحاول  
أن يلدغنى لكننى تمالكت أعصابى وتجاسرت • وفى لمح  
البرق خطفت عصا غليظة وضربتة على أم رأسه فسقط  
صريعا فى الحال وهو يتلوى من الألم • وعاودت الضرب  
مرات حتى غدا جثة هامدة لا حراك فيها • حملته على  
العصا وتوجهت الى سكن رئيس الوحدة الريفية التى أعمل  
بها والذى يبعد بخطوات قليلة عن استراحة المغتربات حيث  
الباب مفتوحا • قلت له بشجاعة وأنا أقرب العصا من  
وجهه :

— انظر اننى قوية • لا أخاف الثعابين •

تأملنى بدهشة ولم ينطق بكلمة • اقتربت منه أكثر  
وسألته :

— لا بد من التخلص من الثعابين التى فى خزان المياه •  
أجاب بدهاء :

— فى القريب العاجل •

همست لنفسى بنغيظ :

— نعلم جميعا أن سمعه ثقيل وكثيرا ما يطلب من  
متحدثيه أن يرفعوا اصواتهم • لماذا أجاب بسرعة ؟ لاشك  
أنه يتصنع الصم •

واصلت الحديث معه بخوف :

– الأفضل أن تتخلص من الخزان نفسه لأن وجوده  
فارغا بصفة دائمة يجعله مأوى للحشرات .

وعدنى بالتنفيذ ثم انصرف :

– كان لهذه الرؤية وقع سيء على نفسى لدرجة أنها  
هزتنى بعنف من الأعماق . نهضت بسرعة دون مواصلة  
النوم .

حاولت أن أضىء الحجرة لكن التيار الكهربائى انقطع  
امتلات نفسى بالرعب . بحثت عن شمعة فى متاهة العتمة  
فلم أجد . حاولت مرة اخرى . تسربت الطمأنينة الى  
نفسى عندما لامست أناملى جزءا منها . كان على ان  
أتحسس طريقى الى المطبخ للبحث عن عود ثقاب بينما  
ترتعد مفاصلى من شدة الخوف . حاولت أن اخطو ببطء  
وبهدوء حتى لا اصطدم بالكهـن وبقايا الأثاث الغير صالح  
للاستعمال والذي تناثر هنا وهناك . وقد أثر الرئيس أن  
يحفظها فى الاستراحة . كنت اتحسس الأشياء باللمس  
مرة وبالحـدس مرة حتى وصلت الى المطبخ بينما أتلو بعض  
آيات القرآن وخصوصا آية الكرسي التى تفيد فى مثل هذه  
الحالات . أضأت الشمعة . لمست الألم الذى فى ساقى  
حيث مازالت تؤلمنى . اعتقدت أن سببه هو اصطدامى  
ببعض الأشياء دون قصد واختلطت فى نفسى الأمور لكننى

عندما وجدت آثار لدغ عبارة عن بقعة زرقاء تسرب الخوف الى نفسى واعتقدت ان الثعبان ربما لدغنى قبل ان يموت . لكن اذا كان الأمر كذلك فحتما سأموت بعد قليل حتى لو جربت الى الوحدة الصحية للقريبة . فهى على بعد خطوات قليلة لكن الوقت متأخر وقد لا أجد أحدا يفتح الباب أو حتى يسمعنى .

بالاضافة ان العيادة تخلو من الامصال واذا وجد القليل منها فهو فاسد . هذا ما اكتشفته من خلال زيارتى للطبيبة أكثر من مرة . هنا أدركت ان موتى حقيقة لكن اذا لم يكن الألم نتيجة للدغ الثعبان فماذا يكون سببه وخصوصا أنه ترك أثرا .

تذكرت أمى عندما كانت تقول :

– ان البقع الزرقاء فى الجسد غالبا تكون نتيجة لفعل الشياطين والجان والأشباح ويصاب بها على وجسد الخصوص هؤلاء الذين ينامون فى الظلام . ولذلك عندما كان التيار الكهربائى ينقطع كانت توقد لمبة جاز ونحن صغار وتضع ( وناسة ) بصفة دائمة موقدة فى دورة المياه حتى مطلع الصباح بالاضافة الى أنها كانت تطلق البخور من وقت لآخر وخصوصا اثناء صلاة الجمعة وكانت دائما تحذرنا من خطورة النوم فى الظلام أو السير بخطى قوية على الأرض . والقاء الاشياء بعنف وتكسيورها . والصراخ

فى الحمام • وتذكرنا بحالة قريبة لنا • مريضة نفسيا • بسبب القائها وابور الجاز أمام دورة المياه وهو موقد وبعنف وذلك اثر شجار دار بينها وبين شقيقتها الصغرى • ورغم بذل المحاولات فى علاجها وحجزها فى مصحة نفسية أكثر من مرة الا أنها مازالت فى حالة سيئة وسبب ذلك أن الأرض التى نعيش عليها يسكنها ناس من جنس آخر ربما الجان أو العفاريت أو ما سابه ذلك فقد يسقط الشئ على رأس أحدهم فتقلب الأرض رأسا على عقب ويفكرون فى ايداء الفاعل • وكانت أمى تحذرنا أيضا من أضرار القاء المياه الساخنة على الأرض وخصوصا فى الحمام حتى لا تؤذى هؤلاء وولابد من تبريدها أولا واذ حدث وأخطأ أحدنا فتسرع بنثر ماء الورد فى نفس المكان • وقد حدث ان أطل ثعبان برأسه من شبك المطبخ المطل على حجرة نوم والدتى اثر القاء مياه ساخنة فى حوض المطبخ بطريقة عفوية من أخى الصغير • لم تهدي أمى فى هذا اليوم وافهمتنا جميعا أنه ليس ثعبانا ولكنه من فعل الجان وربما يهددنا بالأذى وقد يلدغ أحدنا بالفعل • أصابنا الرعب جميعا وراحت أمى تبحث عن أحد الحواة الى أن ساعدها بعض الجيران فى حارتنا وعندما حضر ظل يقرأ بعض التعاويذ حتى أخرج الثعبان مقابل بضعة جنيهات كنا فى أمس الحاجة اليها • وكانت قد ادخرتها من مصروف البيت ورغم ان الحساوى

أقنعتها بأن الذى امسك به ثعبانا حقيقيا الا أنها ظلت تعتقد أنه من فعل الجان والشياطين .

ولتجنب شر هؤلاء كانت دائما تهتم بنظافة الأرض وترش البلاط بماء مذاب فيه بعض الاعشاب التى تفسد أعمال الشياطين والسحر منها . عرق الحلاوة وبذر الرجلة ، وتذوب فى أكواب مملوءة بالماء نوعا آخر يشبه العرقسوس الجاف ويسمى . سفوف الأصول . حتى يزول الخوف الذى ينتاب الواحدة منا فى مثل هذه الحالات واذنا صرخت واحدة منا فى الحمام ليلا أو وقعت على الأرض أو عتبه الحمام تسرع باحضار ماء الورد وتنثره على نفس المكان الذى حدثت فيه الواقعة .

ان الحديث فى هذا المجال يطول شرحه ولذلك توقفت وعدت أفكر فى مشكلة خزان المياه الكائن فوق حجرة نومى ومازلت أشعر بالألم فى ساقى واتحسس البقعة الزرقاء التى ربما تكون من فعل الجان أو الشيطان . دفعنى فضولى وقلقى الى البحث عن حقيقة الثعابين التى تقيم فى الخزان وكالعادة . لم أنعم بالنوم بل ازداد غليان الخوف فى نفسى وبقيت ساهرة حتى مطلع الفجر . وفى الصباح توجهت لمكتب رئيس الوحدة لاستطلاع رأيه حول كيفية احياء المشروعات المعطلة واعادة فتح مسرح القرية الذى استغل مكانه حاليا وأصبح مخزنا للكهن . وفى نهاية الحديث

الذى لم يسفر عن أية نتيجة تعود على القرية بالفائدة قال  
محدرا :

– خذى بالك من الخزان الكائن فوق سطح الاستراحة  
التي تقيمين فيها .

ماذا تعنى بالضبط ؟

أجاب بخبث وهو يتصنع الصمم ويشسیر لى ما يفيد  
بإعادة السؤال .

– لقد امتلأ الخزان بالثعابين وكل عام يتجمع عمال  
الوحدة ويشعلون فيه الحريق بينما يمسك كل منهم عصا  
غليظة حتى لا يهرب أحد الثعابين ويؤذى السكان أو  
أطفال الحضانة مثلا .

منذ تلك اللحظة أصابنى الأرق وخصوصا عندما لمحت  
أثار حريق بالقرب من الخزان وجزء منه . ولم اتمكن من  
النوم بشكل طبيعى بالاضافة الى شريان الرعب الذى ظل  
يقدق فى جسدى بصفة دائمة صباحا ومساء لدرجة اننى  
كنت دائما اغلق كل شبابيك السكن قبل النوم ومعظم وقت  
النهار وخصوصا عندما أكون خارج الاستراحة وكنت  
استغرق وقتا طويلا فى البحث عن الشقوق واكتم نفسها  
بالكهن لكننى لم أستسلم للخوف وتوقعت ان حكاية الخزان  
هذه ربما تكون من صنع خياله لبث الرعب فى نفسى ومن

ثم كراهيتى للعمل هنا والسعى لمغادرة المكان فى أقرب فرصة حتى يرتاح من الحاحى المستمر فى احياء المشروعات الميئة واصلاح ما افسدته ايادى الخونة .

غادرت مكتبه الذى دائما يغلقه على نفسه ويظل بالساعات مع قطع الاثاث الفخمة التى تحاصره من كل مكان واستدعيت واحدة من المهجرات اللواتى يقمن فى سكن الوحدة ووقع اختيارى على جمالات التى تعرف كل صغيرة بدائرة الوحدة سألتها ان تصعد الى الخزان بنفسها وتصحبنى معها لأرى بنفسى . ترددت فى البداية خوفا من عقاب الرئيس وحاشيته ولكنها اضطرت لتلبية رغبتى أمام الحاحى المستمر لها حتى تعود لى حالة الاستقرار النفسى .

وقفت خائفة بجوارها عندما اصبحنا وجها لوجه أمام الخزان بينما القت نظرة فاحصة وسريعة من خلال فتحة كانت بأعلاه وقالت بهدوء :

— انظرى يا ابلة . وتأملى . لا يوجد شعابين ولا حتى صراصير .

سألتها بدهشة وأنا أشير الى اثار الحريق :

— لكن ما سبب هذا ؟

— احيانا يسهر بعض العمال هنا على السطح وبجوار الخزان . يشعلون اعواد الحطب الجافة للتدفئة وشوى الذرة الخضراء .

عدت الى مكتبى وأنا اشعر بشيء من الهدوء النفسى  
وفكرت فى نسيان ما مر بى لكننى شعرت برتابة الأشياء  
من حولى ومن ثم فكرت فى تغيير وضع ماكتبى فى تلك الحجرة  
الصغيرة والتي لا تسع سواه بالاضافة الى دولاب صغير  
حفظت فيه سجلات وملفات المستفيدين . استدعيت اكبر  
العمال سنا وهو رجل طيب لينفذ لى ما عزمت عليه وبالتالى  
يصبح نظرى فى اتجاه الشباك الوحيد الذى يطلى على  
الطريق الزراعى وحتى أرى القسامين الى الوحدة من  
المستفيدين .

قال العامل قبل مغادرة المكتب :

– احترسى من الكلاب يا ابنتى .

ماذا تقصد ؟

– احيانا يلبس الانسان ثوب الكلب ويصبح مسعورا  
ويعض وقد تكون عضته سامة .

ماذا فعلت لكى يفكر البعض فى ايذائى ؟

– لأنك صاحبة حق وتدافعين دائما عن المظلومين .

فجأة وبعدها ابتعد قليلا . شعرت بحركة غير عادية  
بجوار قدمى . شيئاً ما قد لمسها . القيت نظرة خاطفة ثم  
صرخت على الفور :

– ثعبان . ثعبان .

تجمع حولى عمال الرحدة على الفور وبعض الموظفين  
وبسرعة البرق ضغط أحدهم بحذائه السميك فمات على الفور  
حمله بيده ثم ألقى به بعيدا . الشيء الغريب والذي أثار  
دهشتى ان لون هذا الثعبان أسود نفس شكل ولون الذى  
رأيتة فى الحلم والفرق هو الحجم فهذا رفيع بينما الذى  
هاجمتى تكبير الحجمم وتليظ بعد لحظات كانت جمالات  
أمامى وهى تحمل وعاء من الفخار بداخله سائل وتسالنى أن  
أشربه على الفور حتى يزول الخوف الذى تملكنى .

قال عم على العامل المسن وهو يربت على كتفى :

– اشربى هذه ( طاسة الطربة ) مذاب فيها عسل أسود  
وخميرة وهى تفيد فى مثل هذه الحالات . بدأت أشعر ببعض  
الراحة والهدوء وخصوصا بعد ما شربت كل ما فى الوعاء  
لكن الشيء الذى حيرنى . لماذا دخل الثعبان مكتبى علما  
بأن هناك عشرات المكاتب من حولى وهى تخص الوحدة  
الاجتماعية أو المحلية ولم يحدث ان وجد أحد من الموظفين  
ثعبانا منذ قدومى للعمل هنا أى منذ بضعة شهور .

قال العامل غريب بخبت وهو من حاشية الرئيس :

– هناك عشرات الثعابين فى الشقوق التى أمامك فى  
تلك الأرض الخاوية .

– عاد الرعب يسرى فى جسدى مرة أخرى وخصوصا  
بعد ما انفض الجميع . ألقيت بجسدى المهرق على المقعد

واسندت رأسي بيدي التي كانت ترتعد ورحت في تفكير عميق • افقت على صوت طبية الوحيدة حيث كانت تمر سألتها على الفور بعد ما القيت تحية الصباح وأنا أحاول النهوض بصعوبة •

– أعطني بعض المهدئات •

قالت وهي تتحسس النبض :

– أنت في حاجة فقط لنزهة خلوية في أحضان الطبيعة •

انتفضت مذعورة عندما لمحت أحد أطفال الحضانة قد خرج مسرعا ووقف بجوار أحد الشقوق المتصقة بالباب كان يبحث عن شيء ما • جريت بسرعة لأبعده عن مصدر الخطر •

( ١٩ )

## الحريق

ترددت بعض الاشاعات بأن المستفيدين الذين يطلبون مساعدات ليسوا فى حاجة اليها لأنهم يتكسبون من التجارة فى الطيور والخضروات ولذلك قررت بحث الحالات على الطبيعة .

كانت اول زيارة فى هذا الصباح لسيدة تعول بضعة أطفال بعد ما توفى زوجها . تقع دارها على بعد امتار قليلة من الوحدة الاجتماعية . وبينما اسرع الخطفى فى الطريق الموصل اليها . . ذلك الملىء بالحفر وأكوام السباخ تسرب الى اذنى صوت أنين عندما اقتربت من مصدره اذا بى وجها لوجه بامرأة فى الأربعين من عمرها . . كانت تبكى بعنف وتجفف دموعها بطرف طرحتها التى كساها التراب وغطى أيضا باقى ملابسها السوداء .

قالت بأسى وهى تعدو نحوى :

– انقذينى ياست ليلى انا يتيمة ومستولة عن خمسة  
أولاد .

اخرجت من جيب سروالها السحرى دفترا صغيرا  
وواصلت الحديث .

– اخذوا كل فلوسى واعطونى القليل .

ربت على كتفها وجذبتها من يدها وأجلستها بجوارى  
على بعض الحشائش المزروعة على شاطئ الترعة وسألتها  
– احكى لى بهدوء عن سبب حزنك .

سحبت طرف طرحتها وراحت تجفف ما بقى من دموع  
سقطت غزيرة تاركة مكانها بلون الدم وقالت :

– أنا من قرية بهبيت واملك من حطام الدنيا قيراطا  
وجاموسة وخمس اولاد أكبرهم فى الثانية عشرة وتعيش  
معى أم زوجى بعد ما توفى أبو الاولاد نتيجة لاصابته بطلق  
نارى طائش فى فرح ابن عمه . . . مرت السنون وأنا راضية  
بحالى . . . اكافح بنفسى من أجل لقمة العيش . . . أزرع  
الأرض وأسرح بالجاموسة التى هى قوتنا الوحيد ورفضت  
كل الذين تقدموا للزواج منى . . . فضلت ان أعيش لتربية  
اولادى وكل الناس يشهدون بأنى طيبة وعمرى ما شكوت  
أحدا لكن الحقود ناره قوية وقلبه مجرد من الرحمة . . .

فى ذات الأيام حدثت الكارثة .. صممت قليلا وغرقت فى  
بحيرة من الدموع لدرجة ان اللبل كاد ان يفسرق كل  
طرحتها فجذبت طرف جلبابها وراحت تجفف بعض ..  
الدموع ..

سألتها بهدوء :

- كفى بكاء واحكى لى عما حدث فربما أتمكن من  
مساعدتك ..

- اشتعلت النار فى أمى والغيط والجاموسة ..

- ثم ارتعد جسدها ولم تستطع ايقاف نريف البكاء  
وخصوصا عندما وصلت للكلمة الأخيرة .. بشكل  
اقشعر له بدنى وعلى الفور فتحت حقيبتى ونشرت على  
وجهها بعض العطر .. هدأت قليلا ثم واصلت الحديث  
وهى تتنهد بصعوبة ..

- ماتت أم زوجى والجاموسة وأكلت النار كل شىء  
حتى عيدان الحطب وكنا نستعد لجنى المحصول ..

سألتها بلهفة :

- والأولاد ماذا جرى لهم ؟

- الحمد لله ربنا حماهم ففى اليوم المشئوم تركتهم  
فى الدار لا لسبب ولكن ربنا الهمنى وسحبت الجاموسة  
فى الصباح متجهة للغيط حتى ابنى الرضيع تركته يغط

فى النوم ٠٠ سألتنى حماتى ان اصحبها معى لتطل على القطن لكنى رفضت لتبقى مع الأولاد لكنها أصرت بحجة الاطمئنان على الأرض بنفسها تركتها هناك ساعة الظهر وعدت للدار لاحضار الغداء والأولاد ٠٠ لكن عندما عدت ٠٠ صمتت قليلا ثم انفجرت فى البكاء ٠٠

قلت لها مهدئة :

– نفذ أمر الله ٠٠

واصليت بمرارة :

– كل شىء أصبح ترابا ٠٠ بعض الناس الطيبين صحبونى للمركز لعمل محضر بالحادث حتى يصرف لى مساعدة كوارث من الشئون الاجتماعية ٠٠

ناولتنى الدفتر وكانت لاتزال ممسكة به وقالت :

– اتفضلى يا ست لىلى تصفحيه ٠٠ ستجدين الظلم

نفسه ٠٠

شد انتباهى جملة مثيرة به محتواها ٠٠

( يصرف للسيدة عدلات مساعدة نكبة تقدر بثلاثة

مائة جنيهه )

همست لىلى بدهشة :

– خسائر تقدر بالالف جنيه على الأقل يصرف لها هذا

المبلغ فقط ٠٠

ثم كيف يسمحون لأنفسهم بالتصرف هكذا .. فى غياب  
الاخصائية .. المفروض أن أقوم بنفسى بأجراء البحث  
الاجتماعى واشارك فى المعاينة وتقدير الخسائر .. مجرد  
أيام قليلة اقضيها فى القاهرة يحدث فيها كل ذلك وكأنهم  
انتهزوا فرصة غيابى وتصرفوا كما يحلو لهم ..

سألت السيدة بغيظ :

- هل صرفت المبلغ كله .. ؟

اجابت بمرارة :

- زارنى مندوب الصرف فى أحد الأيام .. الله  
لا يريجه .. بعدما قدمت بلاغا بالمركز شرحت فيه ما حدث  
بالتفصيل وقام رئيس الوحدة بنفسه بالمعاينة .. طلب  
منى المندوب لحظتها الختم وكان كعادته متلهفا على  
السفر وبعدهما ختم ناوئى الدفتر ومائة جنيه وقال :

- هذا المبلغ صرفته لك الشئون الاجتماعية ..  
حاولى تدبرى به نفسك ..

اعدت النظر لمحتويات الدفتر ثم قلت لها بدهشة ..

- المفروض أنك استلمت المبلغ كله لأن ختمك يدل  
على ذلك ..

قالت وهى ترفع الطرحة من على رأسها :

– منهم الله سلبوا حق اليتيم .. ربنا أقوى منهم ..

ذهبت بفكرى للأمس القريب وذلك عندما سألت المندوب هذا عن مواعيد الصرف حتى لا يرهق المستفيدين من كثرة السفر ويكونوا قد انفقوا أكثر من نصف قيمة المساعدة المقررة لهم ولكنه شرح لى بهدوء كيفية التصرف فى مثل هذه الأمور فهو يقوم فى معظم الأحوال بزيارتهم فى مقر ديارهم حتى لو كانوا يقيمون فى قرى بعيدة ويصرف لهم المساعدات بنفسه هذا بالاضافة الى أنه حذرهم أكثر من مرة من كثرة التردد على الوحدة بسبب وبدون سبب حتى لا يرهقوا ماديا وجسمانيا .. لكنهم كانوا يعملون ودين من طين وأخرى من عجين ..

هنا فقط عرفت سبب زيارته للمستفيدين فى ديارهم لكن كيف أوجه له تهمة النصب والتزوير فى مثل هذه الحالة وهو فى نظر القانون برىء ..

قلت لها وأنا اجذبها من يدها :

– انهضى وعوضك على الله وحاولى التصرف فى حدود المبلغ الذى حصلت عليه وفى امكانك استغلاله فى التجارة صرخت وهى تشد فى شعرها بعد ما نزعنا الطرحة من عليه ..

– يستغلون الفقيرة .. المجروحة .. ام الايتام ..

قربت الدفتر من عينيها وقلت لها :

– ختمك واضح ويثبت أنك استلمت المبلغ كله ..

اجابت بحزن :

– امية .. لا اعرف القراءة ولا الكتابة ..

لاشك ان لفصول محو الأمية أهمية قصوى فلو كانت هذه السيدة حصلت على قدر من التعليم كانت حمت نفسها لكن مع الأسف حتى لو وجد أحدها فهو قاصر على تعليم الرجال من الفلاحين لأن المرأة الريفية فى نظرهم ليس لديها وقت للتعليم ..

كانت السيدة مازالت تقف شاردة .. حزينة ..  
تبحث عن منقذ كالغريق الذى يستنجد بقشة ..

اقتربت منى وسألتنى بلهفة :

– كيف الحصول على فلوس ياست ليلى ؟

هل حاولت سؤاله مرة ثانية عن باقى المبلغ ؟

– ذهبت عدة مرات .. قالوا مرة مسافر وأخرى انه يصرف المعاشات فى ديار الفلاحين. وعندما يشاء القدر أقابله واسأله بهدوء ولكنه ينهرنى بصوت عال ويتهمنى بالجنون ويسأل أحد العمال الذين تربطنى بهم صلة قرابة ويقيم فى نفس قرىتى ان يطردنى من الوحدة أو يدخلنى مصحة نفسية لأن الحادث ربما أثر على عقلى ..

سألتها والدم يغلى فى عروقى :

- هل رآك أحد اثناء صرف المبلغ ؟

- ربنا هو الشاهد الوحيد .

هل حكيت لرئيس الوحدة ؟

- الصراف له منزلة خاصة عند سمعان بيه ولا يقبل

أى شكوى تسيء له .

سرحت مع نفسى قليلا وقلت هامسة :

- هذه بالطبع حقيقة .. تذكرت عندما سألته عن

مواعيد وجوده بالوحدة لحل مشاكل المستفيدين مم

الصراف وخصوصا أنه لا يحضر سوى مرة أو مرتين على

الأكثر فى الشهر أفادنى أنه ولد مكافح ويعمل لينفق على

اخوته الأربعة ووالدته بعد وفاة والده .. ويكفى أنه

متحمل مسئولية الوحدة بأكملها بالاضافة الى ظروفه

الخاصة لم أجد الا أن أقول للسيدة قبل أن انصرف ..

- سأستدعيك عندما يأتى الصراف وأحاول معه مرة

أخيرة فربما هناك أمل ..

( ٢٠ )

## عامل النظافة

شعرت بالاختناق هذا الصباح نظرا لرائحة التراب  
المنتشر في كل أركان المكتب والتي كادت أن تسد الأنوف  
ومن ثم فتحت شبك الحجرة الوحيد فربما يخفف هواؤه  
النقي من وحشة هذا الجو الضبابي الخانق .

تملكنى الزعر عندما أحسست بيد تنفض لى ملابسى  
.. التفت ورائى لأجد الطبيبة وبصحبته فتاة لم أرها من  
قبل قالت الأولى وهى تمسك بملابسى :

انتظرى يا ليلى حتى انظف فستانك .. فقد غطاه  
التراب ..

— لقد مللت من وجودى هنا .. ؟

أين عامل النظافة ؟

يئست من السؤال عنه والأمر من ذلك سلم الاستراحة  
٠٠ فاسطبل الخيل اتظف منه ٠٠

سألتنى الطيبية بضيق :

— لماذا ترضين بهذا الواقع المرير ؟

والأمر من ذلك ٠٠

( فى نهاية نهار أول أمس ٠٠ حضر أحد العمال الذى  
لم أشرف برؤيته منذ قدومى لهذا المكان ٠٠ وظل يدق  
فى الحائط المجاور لسكنى بحجة أنه يصلح النور مما أدى  
الى تراكم التراب وقبل أن يغادر السكن سألته عن المسئول  
عن النظافة وخصوصا ان تلال القمامة أصبحت تعوق  
حركة المرور ٠٠ افادنى بأن مرعى هو عامل النظافة  
الوحيد بالوحدة ٠٠ عينته الحكومة لهذا الغرض ويحصل  
على أجر بالطبع تعجبت لأننى لم أسمع بهذا الاسم من قبل  
٠٠ وعندما سألته عن مواعيد تواجده بالوحدة ٠٠

قطعت الطيبية حديثى وقالت :

— هذه فوضى وشىء أغرب من الخيال ٠٠

اجبتها بغيظ :

— الأكثر غرابة أنه مشغول بالقراءة فى المآتم  
ولا ينظف سوى سكن رئيس الوحدة فقط ٠٠ سمعان  
بیه ٠٠ لاحظتها ذهبت بفكرى للامس القريب وتذكرت أننى

رأيته أكثر من مرة ينظف شقة الرئيس ويقلبها رأساً على عقب  
لكن لم يخطر ببالي أنه موظف بالوحدة ومن قبل الحكومة  
وفكرت أن انتهز فرصة وجوده وأطلب منه نظافة الاستراحة  
والمكتب .

أخرجتني من شرودي الطبية وقالت وهى تشير الى  
الفتاة :

– نسيت أن أقدم لك أمل مدرسة بمدرسة القرية .

أهلاً بكما وأقدم أسفى لاثارة مثل هذه المشاكل فى  
أول لقاء لنا .

• واصلت الطبية .

– يبدو أنك طيبة . . لا تشغلى بالملك بموضوعات  
النظافة وسأرسل لك أم على الدادة عندى لتلبى طلباتك  
رغم اننى لا أراها سوى مرتين فى الشهر وعندما تحضر  
لا تنظف الا العيادة فقط . .

قالت أمل لى بغیظ :

– فى امكانك استدعاؤه بصفة رسمية ليؤدى عمله  
الذى يرزق منه واذا رفض ففى امكانك عقابه . .

لا أريد ايذاءه حتى لا اغرس بذور الكراهية فى نفوس  
هؤلاء واتمنى أن يعملوا بمحض ارادتهم . ونتيجة لحبهم  
للمعمل .

سألتنى الطيبية :

– هل نفذ لك طلبك ؟

– اعتذر بحجة ارتباطه بعمل لدى بعض المسئولين  
وأفادنى بأن عامل النظافة المسئول سيحضر صباح الغد  
لقضاء بعض طلبات الرئيس ولن يتأخر عن طلبى .

– وهل حضر العامل ولبنى طلبك ؟

تنهدت بصعوبة ثم واصلت :

– فى صباح أمس وبينما كنت فى طريقى لمكتبى اذا  
بى وجها لوجه بشخص ما .. كان يحمل بعض أدوات  
النظافة سألته على الفور :

– هل أنت عامل النظافة هنا ؟

أجاب بجرأة وخبث :

– فى الحقيقة يا ست هانم .. أنا منتدب من مجلس  
المدينة وأضطر للعمل مقرئ فى المآتم لظروفى العائلية  
الصعبة .

– هل اذا جاءتك حالة وفاة اثناء تأديتك لعملك  
الرسمى تتركه على الفور حتى لو لم يتم انجازه ..

اجاب ببساطة وخضوع :

– نعم يا أبنلة ٠٠ أكل العيش مر ٠٠ ربنا يعطيك  
الصحة ساعدينى ٠٠

قطعت الحديث الطبية وقالت بضيق :

– لاشك أنه جرىء جدا ٠٠

بالطبع ٠٠ وكدت أن أتفجر من الغيظ وقلت له :

– كيف وأنت تقوم بعملين فى وقت واحد ؟

سأل بتوسل :

– معونة الشتاء يا ست هانم ٠٠ تحصل ازمتى ٠٠  
ابنتى الوحيدة مريضة وأنا تحت أمرك فى أى طلب ومستعد  
لخدمتك فى أى لحظة ٠٠

سألتنى أمل بدهشة :

– وهل منحتيه المساعدة ٠٠ ؟

– بالطبع لا هناك عشرات الفقراء لا يعرفون التوسل  
٠٠ بالطبع هم فى أمس الحاجة أكثر منه ٠٠

شرحت له ذلك اما ابنته المريضة ففى امكانه علاجها فى  
الوحدة الصحية ٠٠

فجأة انتفض واقفا عندما قال له أحد الفلاحين ان  
اليوم يوافق الخميس الأول لوفاة شيخ البلد وسأله ان  
يسرع الخطى ويسبقه على الجبانة ٠٠

لحظتها لم ينظر حتى اوافق على انصرافه وبسرعة  
البرق حملته الريح وطار بينما يقول من بعيد :

ـ عن اذنك يا ست ليلي ..

سألتنى الطبيبة وهى تضرب كفا بكف :

ـ لقد قلت الزمام منك :

عقبت المدرسة وقالت :

ـ بالطبع هذا عامل وقح ويستحق أقصى عقاب ..

ـ لم أتركه يهناً بعمله الاضافى بل كتبت مذكرة

تقصيلية بما حدث وقد قدمتها لرئيس الوحدة ..

ـ لكن مع الأسف : بعد قليل من تقديمها عدت لمكتب

سمعان للسؤال عن بعض الاوراق واذا بى أجده قد فتح

سجل الحضور والانصراف وراح يملأ الفراغات التى

أمام اسم مرعى وذلك فى كل الايام التى تغيب فيها وعندما

سألته عما يفعل قال ببرود ولا مبالاة .. هذا العامسسل

مسكين ويسعى دائما لأكل عيشه . بالاضافة الى انسه

يقدم خدمة جلييلة لأهل البلد .

قلت له بغیظ :

ـ بالطبع مسكين .. لأنه ساعيك الخصوصى ..

انفعل بالمغضب وقال :

– أرفعى صوتك ٠٠

أجبتة بصوت أكثر ارتفاعا :

– اعتقد انك سمعتنى جيدا ٠٠ ولقد انتهينا من هذه  
المهزلة من قبل ٠٠ واصبحت الأمور أكثر وضوحا .

كادت نظراته ان تفرسنى وظلت تلاحقنى حتى غادرت  
المكتب وخرجت لأتنفس بعض الهواء .

– سادت فترة صمت قليلة ٠٠

قالت الطيبية وهى تستعد لمغادرة المكان « المكتب »  
وبصحبته أمل :

– نأسف لتعطيلك واثارة الآلام ٠٠ لقد رغبنا فقط فى  
الاطمئنان عليك اثناء مرورنا على الطريق الزراعى  
بالاضافة الى أن أمل كانت ترغب فى معرفة رايك حول  
مشكلة يعانى منها مدرسات المدرسة الابتدائية بالقرية .

لقد غرقت فى همومى لدرجة اننى نسيت ان أطلب  
لكما بعض المشروبات ٠٠ واتمنى سماع مشكلة المدرسات  
لاقدم ما استطيعه من معونة ٠٠

قالت أمل :

سنزورك مرة أخرى بصحبة بعض المدرسات ٠٠  
ونتحدث بالتفصيل لأنك مثقلة الآن بالاحزان ٠٠

( ٢١ )

## الدرسات فى القفص

عندما أوشك النهار على الرحيل وهلت خيوط الغروب  
تسرب القلق الى نفسى بينما كان الفراغ الذى يحيط بى  
من كل اتجاه يلقى بعباءة السام على نفسى فيعمق فيها  
الاحساس بالغربة والوحدة .

خرجت للشرفة التى تطل على منحل الوحدة الذى  
يتوسط قطعة الأرض المزروعة بالخضروات تأملت الطبيعة  
لحظات فربما يخفف ذلك من عناء ما اشعر به ولكن أرقنى  
بعض الدبابير وأسراب النحل الهارب من الخلايا للبحث  
عن الأزهار ومن ثم اغلقت باب الشرفة وعدوت الى الوحدة  
الصحية فربما أجد ما يخرجنى من أزمى هذه سألتنى  
الطبيبة ان انتظر فى الاستراحة حتى تنتهى آخر حالة  
كشف . وبعد لحظات كانت معى وبصحبتها أمل المدرسة

التي تعرفت عليها من قبل ، كانت تشكو من بعض الألم ،  
قالت عندما لمحتني :

— أنا مسرورة لرؤيتك لأنني كنت أفكر في زيارتك  
في أقرب فرصة لأمر يهم المدرسات المغتربات ..

— أنا مستعدة بكل سرور لأية مساعدة مادامت في  
امكاني .

قالت بانسي :

— أنا ومدرسات المدرسة الابتدائية وهي الوحيدة في  
القرية كلها لا فرق بيننا وبين الدجاج المحبوس في القفص  
خمس مدرسات يقمن في حجرة واحدة . كانت من قبل  
فصلا دراسيا وكل محتوياتها سريران من الحجم الصغير  
ودولاب ذو لون رمادي داكن وقد سكنته الحشرات وأبت  
مغادرته على الاطلاق . بالاضافة لعدم وجود كهرباء  
ونضبي، الفصل . اقصد حجرة النوم . بلمبة غاز ..

— تنفست أمل بصعوبة وقد بدا القلق واضحا على  
وجهها .

سألتها الطيبية مشفقة :

— هل عاودك الألم مرة اخرى ؟

— لا ولكنني أتألم مما نحن فيه ثم واصلت بمرارة  
الحديث .

والمصيبة حرماننا من مغادرة باب المدرسة لأن الساعى  
الخصوصى الذى كلفه سيادة ناظر المدرسة بحراستنا  
يحفظ المفتاح فى جيبه الخصوصى بعد ان يخلق علينا باب  
المدرسة الخارجى بقفل كبير ولا يفتح الا باذن الناظر .

واصلت الطبيبة وقالت :

– والشىء الاغرب من الخيال انهن لا يغادرن  
المدرسة الا مرة كل اسبوع وباقى الأيام فى داخل اسوار  
المدرسة اقصد السجن الخصوصى . علما بأنه لا يوجد  
وسيلة ترفيه . لا راديو ولا تليفزيون ولا أى شىء من هذا  
القبيل .

اضفت قائلة بضيق :

– حتى القرية كلها لا يوجد بها ناد للشباب . فمئذ  
بضعة أيام زارنى بعض الشباب ومعظمهم من طلبة المدارس  
الاعدادية والثانوية بالوحدة واشتكوا من عدم وجود  
وسائل ترفيه تشغل فراغهم وطلبوا تعاونى فى انشاء نادى  
للشباب نظرا لعدم وجود أية وسيلة للترفيه لشغل فراغهم  
لدرجة أنهم ابدوا استعدادهم فى المساعدة فى التأسيس  
وبالطبع لم أجد الا أن أوعدهم بعرض مشكلتهم على مجلس  
القرية فى الاجتماعات القادمة .

واصلت المدرسة وقالت بضيق :

– اشعر اننا نعمل ربما فى معسكر جيش وقد يكون  
• ارحم •

سألتها بدهشة :

– وهل رضيتم بهذا الوضع ولم يفعل أحد شيئاً ؟  
بالطبع لا • لقد تمردنا وعبرنا عن ذلك بأن طلبت كل  
منا نقلها ونبذل كل جهدنا فى تحقيق ذلك •

• قطعت الحديث أم على الدادة بالوحدة الصحية •

– استأذن سيادتك فى الانصراف • الليل زحيف  
والأولاد فى انتظارى على العشاء •

قالت لها الطبيبة بمرح :

– نشرب شايبك اللذيذ وبعض الكيك •

على بعد خطوات من مجلسنا راحت الدادة تعد المطلوب  
على بوتجاز صغير فوق منضدة ثم قالت موجهة كلامها  
لأمس :

– حتى المدرسة الجديدة التى لم يمض على استلامها  
العمل بضعة أيام اختفت وكأن الارض انشقت وابتلعتها كانت  
نزوية تلبس بنطلونا يفسر كل جسمها وتلون وجهها بالبودرة  
والأحمر والاخضر أما حذاؤها فطول الكعب شبر • وشعرها  
تسافر كل يومين المركز تفرده عند الكوافير واطاقرها  
كمخالب القطط وملونه بالـ ••

اضافت أمل :

– اكلادور •

قالت أم على وهى تقدم لنا الشاى :

– أهل البندر لهم ( تقاليع ) •

اضفت باستغراب :

– فعلا مادامت فتاة من هذا النوع يصعب عليها

التكيف فى هذه البيئة •

واصلت الدادة بسخرية :

وهى يا ستات كانت تدرس للتلاميذ • كانت بين وقت

وأخر تتركهم وتجرى على المرآة تهندم نفسها •

سألتها الطيبية باستغراب :

– من أين لك كل هذا ياداهية يا أم على • ؟

كل الناس فى سيرتها فى المدرسة • العمال والمدرسون

وحتى التلاميذ •

قالت الطيبية لتحسم الموضوع :

– نعود لمشكلتنا الاولى والاكثر أهمية • نرجو من

الأبلة ليلى مساعدة المدرسات فى تدبير سكن لهن فى

استراحة الوحدة الاجتماعية وأعتقد أنها لن تتأخر فمن

شيمتها الكرم والطيبة •

أجبت على الفور :

– أنا على اتم استعداد لتقديم أية خدمات لراحة المدرسات فكلنا هنا غرباء ولا بد أن نتعاون فى حل مشاكلنا قالت الطبيبة بأسف موجهة كلامها لى :

– تعلمين ان استراحتى كما ترين عبارة عن حجرة واحدة وصالة وجزء منها تشغله ثلاجة الوحدة لحفظ الدواء اما استراحتك فاعتقد انها أوسع .هى على الاقل حجرتان وصالة .

اجبتها بسرور :

– موافقة ولكن لا بد من استطلاع رأى المدير – سمعان بيه – ليس من السهل ان يوافق على أى طلب .

قالت الطبيبة :

– بالنسبة لهذا المدير فسوف يتم مناقشة بينه وبين ناظر المدرسة ولكن لا بد من موافقتك أولا .

– كانت الدادة أم على قد انصرفت منذ قليل لتلحق بأولادها قبل العشاء ولكن فوجئنا بها تعود بعد ما يقرب من نصف ساعة وهى تحمل بعض الأطعمة الريفية . ثم سألت الطبيبة ان تعطىها العلاج الخاص بها .

قالت الدادة وهى تحمل متاعها وتستعد للانصراف :

– لو سألت ام المدرسة التى هربت على عليها أى على المدرسة مرة ثانية بلغوها ان الشيخ جمعة فى بلدنا رجل

- مبروك ويعرف الغيب يحسب لها النجم ويفتح الباب
- أبو معشر • ويدلها على أراضيها
- قلت بعدما انصرفت الدابة :
- يبدو أن الدجل والشعوذة تسود هنا بشكل مكثف ومخيف • أجابت الطيبية بضيق ••
- يوجد عراف أو دجال فى كل قرية على الأقل •
- ويثق فيه الناس ثقة عمياء أكثر من ثقتهم فى رجل الدين أو شيخ الزاوية •
- قلت بحماس :
- اعتقد أن هؤلاء فى حاجة ماسة الى توعية للتححرر من أسر الخرافات التى تحول دون تقدمهم •
- واصلت أمل بكدر :
- بل ثورة على التقاليد والعادات والمعتقدات الخاطئة التى تجعلهم بعيدين كل البعد عن المدنية والتحضر قطع الحديث عامل الوحدة وقال :
- حالة مستعجلة يا دكتورة •
- قلت بتعجب :
- اننا على مشارف منتصف الليل •
- أجابت الطيبية وهى تقاوم التعب :
- واحيانا تأتيني حالات وقت اذان الفجر •

( ٢٢ )

## اختفاء المدرسة

عندما يئست والدة المدرسة من العثور عليها • وكانت قد اختفت من مدرسة القرية الابتدائية منذ عدة أيام فكرت في البحث عنها عن طريق السحر • ولم يكن ذلك من بنات أفكارها ولكن أم على دادة الوحدة الصحية شرحت لها بركات الشيخ جمعة • وأبدت استعدادها لمصاحبتها لزيارته ليفتح لها كتاب أبي معشر ويقراً الطالع ويرشدها لمكان اختفاء ابنتها • فكم من حالات ميئوس منها زالت كربتها على يديه • • منها •

تزوجت ابنة شقيقة الدادة في سن مبكرة كعادة أهل الريف وتأخرت في الانجاب لدرجة أن حماتها فكرت في البحث عن عروس لابنها المنكوب لتملاً داره بالذريسة الصالحة • فما كان من الزوجة التعسة الا أن توجهت للشيخ جمعة وتم المراد على يديه وانجبت بدل الولد

خمسة • ويقال انها قبل ان تذهب اليه كانت حاملا في شهرها الأول ولم تؤثر الدادة فقط على عقلية والددة المدرسة ولكن من كثرة حكاويها حول هذا الشيخ ولمساته السحرية المفيدة بدأت الطيبية تفكر في زيارته وطلبت منى مصاحبتها بصفتي اخصائية الوحدة الاجتماعية ورؤيتي لمثل هذه الظواهر ستفيدنى فى مجال الحقل الاجتماعى •

قلت لها بدهشة :

– لهذه الدرجة يسيطر السحر على عقول القرويين •

– الأمر من ذلك يوجد فى كل قرية وكل نجع أو كفر أو عزبة أو دجال ويثق فيه الناس ثقة تفوق الوصف لدرجة ان القروية تنفذ تعليمات الشيخ بالحرف الواحد أكثر من طاعتها لأوامر زوجها •

– لابد ان من التوعية المكثفة وتلك مهمة الرائدة الريفية فى المرتبة الاولى • فلو احسن اختيارها وتسم تدريبها بالاسلوب السليم على تفهم مشكلات البيئـة وكيفية التعامل مع ناسها ستصبح قوة مؤثرة وفعالة •

– عندما اقتربنا من دار الشيخ التى بنيت بالطوب الأحمر وظللتها الاشجار من كل الاتجاهات • ورغم أن مساحتها لا تقل عن ربع فدان الا أننا عجزنا عن الدخول نظرا للزحام الشديد • انتشر الفلاحون من نساء وشباب

• وشيوخ بل وأطفال كانتشار النحل فى حقل الزهور •  
بعضهم كان يعانى من أمراض عضوية والآخر من أمراض  
نفسية •

قالت أم على للطبيبة وهى تشير على عربة هناك •  
— انظرى يا ست الكل • العربة الكبيرة التى ابتلعت  
معظم الطريق •

ت عربة من يا شيخة الحارة ؟

— ملك البية الكبير رئيس الوحدة المحلية لبلدنا •  
زوجته مشتاقة للأطفال كاشتياق العليل للدواء من سنين  
وسفرها المدينة وعالجها على يد احسن الاطباء وعملت  
أكثر من عملية لازالة السمنة وأخرى كى لكن لا فائدة •  
ولما يتس فكر فى علاجها على يد شيخنا المبروك •

قالت الطبيبة بسخرية :

— ربما هناك أمل •

لاحقتها الدادة على الفور وقالت بثقة :

— الأمل أكيد وان شاء الله تخرج مجبورة الخاطر •

قطعت الحديث أم المدرسة التى كانت كالغريق الذى

تعلق بقشة •

ربنا يجعل على يديه الشفاء ويبلنا على ابنتسى

سسوسو •

– عندما اقتربنا أكثر من دار الشيخ • لمحنا اسرابا  
من البط والاوز السابح فى الترعة أمام السدار كان من  
كثرتة يخفى عن اعيننا رؤية مساحة كبيرة من المياه •

قالت أم على :

– كل هذا الخير هل تعلمون ملك من ؟

لاحقتها قائلة :

– ملك الفلاحين طبعاً •

– لا ملك الشيخ ربنا فاكره بخيره لأنه يعطف على  
الفقراء • ففى كل موسم يذبح بهيمة ويوزعها على  
المحتاجين • رجل مبروك وحياة سيدنا الحسين ولا واحد  
يخطى عتبة بابه ألا ويخرج منصوراً أو زالت كربته بانن  
واحد أحد •

واصلت الطيبية الحديث •

– ماذا يحدث لو تم تحويل هؤلاء للعيادات النفسية  
والطبية هل سيعجز الطب عن علاجهم •

قلت لها ••

– لاشك أن التوعية المكثفة والمستمرة هى الحل والأمر  
يحتاج لصحوة كى يستيقظ هؤلاء الغارقون فى انهيار  
الغيبيات •

حاولت أم المدرسة ان تشق طريقها وسط الزحام لكن

منظم القاعة وهو فلاح شاب منعها من الدخول وقال  
بصوت عال •

بالدور يا ست أم اننا فى جمعية ؟

اقتربت منه الدادة وصاحت فى وجهه وهى تنظر لنا :

– دكتورة الوحدة الصحية والسنت الاخصائية

بالوحدة الاجتماعية فى حاجة للزيارة •

بسرعة المبرق تغير لون الشاب وقال فى خوف :

– يا الف أهلا وسهلا • ثوان وسأحضر حالا •

وقبل ان يغادر المكان أفسح لنا جزءا من الطريق

وأجلسنا على احدى الدكك المصفوفة فى فناء الدار •

قالت فلاحه شابة كانت تحتضن أمها المسنة المريضة

وقد جلست بجوارها وركنت رأسها على كتفها •

– أمى لابسها أسياد ورغم ان طلباتهم تنفذ الا أنهم

لا يرغبون فى فراقها ويلازموها اينما وجدت • يطلبون

أحيانا ان تحنى قدميها وكفى يديها وترتدى جلبابا أبيض

وتغطى رأسها بطرحة خضراء • فكرنا فى زيارة الشيخ •

رجل مبروك ولم نجد وسيلة للمركوب الا حمارتنا حتى تعبت

المسكينة من المشوار وسقطت فى الطريق عدة مرات •

– لاحقتها أخرى مسنة راحت تربت على رأس شاب

رقد على حجرها وقالت بحزن :

– ابنى ضنايا لبسته جنية نفسها تتجوزه وكل ما أفكر

أخطب له يصرخ ويغير صوته ونسمع آخر قريبا من صوت النساء . ( أنا أحبه ولا يمكن أن اتخلى عنه أبدا ) .

– ثم يتوه ويغيب عن الوعي . زرنا الشيخ جمعة وعمل له حجابا وعدة وصفات لكن ربنا لم يرد بالشفاء .

صاحت شابة ذات ملامح عادية ونحيفة :

– ضرتى سقتنى المر . اصلها جديدة خطفت منى الرجل . سحرت له وافهمنى الشيخ جمعة بانها عملت له عملا ودفنته فى قرافة ويمكن يطلعه اليوم – الشهادة لله انه رجل مبروك ولا يأخذ فلوس الا بعد حل المشكلة .

قطع الحديث ابن الشيخ الذى جاء مهرولا وقال بصوت عال :

– افسحوا الطريق للدكتورة والابلة الاخصائية . نظر الجميع بدهشة وراحوا يتهامسون ويضربون كفا بكف .

سرنا فى طريق طويل حتى وصلنا لدار اخرى ملحقة بالاولى بها ما يقرب من ست حجرات واسعة . كان الشيخ يجلس فى احدها على حصير وقد اسند ظهره على مائدة كان يرتدى جلبابا ابيض ويغضى راسه بطاقيه ويلف رقبتة بكوفية خضراء وأمامه طبلية من الخشب عليها بعض الورق والحبر ذى اللون الأحمر والذى يطلقون عليه ( الزعفران ) بالاضافة لبعض الأقلام الملونة .

أشار لنا بالجلوس قبالة ثم طلب من معاونه اغلاق الباب مع التنبيه بعدم دخول أحد حتى يأذن له .

سأل بقلق وهو ينظر للطبيبة :

ـ طلبات السيدات الفاضلات ؟

انتفضت أم على واقفة وصاحت وهي تربت على كتف أم المدرسة :

ـ يحفظك المولى من كل شر وينور بصيرتك الست سلوى مدرسة كالبدر نزيهة ومتعلمة غابت عن المدرسة بدون سبب واختفت من القرية كلها من اسبوعين . قلبنا الدنيا بحثا عنها ولكن بدون فائدة .

أضافت الطبيبة :

ـ تعرضت فقط لبعض المضايقات من زميلاتنا لأنها كانت ترغب فى حياة من نوع خاص والسكن فى المدرسة غير مناسب .

أجاب الشيخ فى هدوء .

ـ نعم فصل ردىء ولا يليق بأية حياة آدمية . يقيم فيه بنات الناس المغتربات . لفت نظر الناظر أكثر من مرة للعواقب التى ستحدث نتيجة لسوء تصرفه وسألته ان يمنح المغتربات دارا من دياره الكثيرة فى البلاد للاقامة الدائمة

كحل مؤقت لكنه كان يرفض باصرار لانها مسئولية ويخشى اندماج البنات مع الفلاحين وما يترتب على ذلك من اضرار .

ثم اعتدل في جلسته و اضاف وهو سيمسك بكتساب استعدادا لقراءة الطالع .

– اذكر الست الدكتوراة باننى احول لها حالات الأمراض العضوية والعصبية أو لطبيب المركز أما الحالات التى لها علاقة بالجن والاسياد واللمسات الارضية فهى من اختصاصى أى العلاج بالطب الروحانى .

اجابت أم على على الفور :

– معلوم يا سيدنا . وأنت سيد العارفين .

لزمنا الصمت أنا والطبية واكتفينا بالمشاهدة غالبا بينما والددة المدرسة سألته باشفاق :

– أرجوك يا سيدنا تدلنى على طريق ابنتى الوحيدة الغربية كانت قاسية عليها ولم تتغرب من قبل .

سألها على الفور قبل ان يفتح الكتاب :

– اسمها واسم الأم والاطر .

اقتربت منها الدادة وقالت هامسة :

• اعطيه شيئاً يخصها منديلها أو قميصها أو  
الخ •

فتحت السيدة حقيبة يدها وقالت بصوت منخفض  
للداة :

• هذا منديلها لكننى استعملته •

سحبته الداة وهى تقول :

• ينفع يا حبيبتى المهم فيه عرقها • ولا تنسى تضعى  
معه بعض النقود •

• بعد لحظات كان الأطر فى يد الشيخ ولكن يبدو أنه  
كان خاليا من العملة الورقية التى دستها السيدة فيه ولا  
الدى ان كانت أم على قد اخفتها بمهارة أم لهفها الشيخ  
بسرعة البرق واخفاها عن العيون •

بدا يقلب فى صفحات الكتاب حتى استقر على احداها  
وقال :

• ان شاء الله يدلنا أبو معشر على الخبا •

•لقى نظرة سريعة على احدى صفحاته وقبل ان  
يغلقه سألته بشغف ان يقرأ محتواها •

• برجها الميزان • وهو مائى حار رطب متقلب له  
ثلاثة وجوه • الأول • امرأة بيضاء اللون • سيدة أهل

بيتها كسبية جيدة عزيزة النفس ، حسنة الصورة معتدلة  
القامة غليظة البدن .

همست أم المدرسة بدهشة :

— لكن ابنتى سوسو سمراء اللون نحيفة .

واصل الشيخ دون تعليق :

— مدورة الوجنتين وكل شىء رأتها بالحين عملته .  
توجد علامة فى صدرها محبوبة عند كل من رآها .

— لا يوجد علامات فى جسم ابنتى ولو كانت محبوبة  
من أهل القرية فلماذا هجرتها ؟

— كلما يجتمع بها احد تصاب بأمراض كثيرة من قبل  
الدم كالذوخة وخفقان القلب والكبد .

صرخت أم المدرسة :

— يا مصبتي ابنتى مريضة بكل هذه الأمراض  
يا حبيبتى يا ابنتى .

صاح الشيخ بكدر :

— أرجوك أنا اقرأ المكتوب ورزقى على الله .

قالت لها الدادة :

— اصبرى يا أم سوسو الشيخ جمعه كله بركة ويقراً  
الطالع .

– يصلح لها اخراج الدم وشرب عصير الليمون  
وتعاطى سفوف الاصول • هى عاشقة ومعشوقة وتحب  
الزينة •

همست أم على للدكتورة :

– فعلا لا يوجد اشيك منها فى البلد كلها •

– حياتها صافية النية والخاطر ولا تكره أحدا مرحة  
سخية مكشوفة الاسرار •

– يا حبيبتى يا ابنتى لم تكن تخفى شيئا •

واصل الشيخ بثقة :

– لكن تفشى بسرها لمن لا يكتمه وتعشق الألسان  
وشرب القهوة • قليلة البخت مع من تحسن اليه يخاف  
عليها من دخول المحلات المظلمة •

– فعلا يا سيدنا عندما كانت ابنتى تنام فى مكان  
مظلم تستيقظ مذعورة وخائفة وكأئنا اصابها مس من  
الجان •

– تنال الحج وزيارة بيت الله المحرام •

قالت أم على ساخرة وهى تهمس للطبيبة :

– كيف وهى لم تفكر فى الصلاة ولا مرة •

– كلما كبر سنها زاد رزقها وترزق التوبة وستموت  
فى نعمة من الله تكون بارة بوالديها وكانت مدللة وهسى  
صغيرة •

صاحت الأم :

– الحق يقال لا يوجد على الحجر سواها فهى أخت  
وحيدة لثلاثة صبية •

قالت أم على بنشوى :

– يسلم فمك • كلامك يا سيدنا • لا يعلى عليه •

واصل الشيخ بثقة وسرور :

هناك مشاجرة بسبب الورث • بيت أمراضها الحوت  
والمشترى •

– لدينا بالفعل ميراث فى بلدنا أرض أمى وأبوى لكن  
لا يوجد مشاكل •

تعانى من أمراض المفاصل ويوصف لها أكل البصل  
والخل والليمون •

– كانت تحب رجلا وتغار عليه بشدة ، ستتزوج من  
رجل أو ثلاثة ولن تبقى مع الأول ولا مع الثانى وستعمر  
مع الثالث •

قالت الأم بدهشة :

– تزوجت مرة وكانت تغار عليه من الهواء لكنه خائن  
غدار ربنا خلصنا منه على خير .

– ستكون معزوزة من طرف العجائز من الرجال  
والسيدات وجيدة العشرة مع الأصحاب وكثيرة الاصدقاء .  
قالت الطيبية هامة للشيخ :

– هذا مشكوك فيه يا شيخ جمعة ولا مدرسة من  
زميلاتها فى المدرسة أحببتها واحترمتها وفرحوا جميعا  
عندما غادرت المدرسة وتمنوا الا تعود .

– شعر الشيخ بالحرج ولكنه واصل وهو يحاول أن  
يتماسك .

– تنال عزة ومحبة من رجل جليل القدر وتحسد على  
محبتة .

– والدها يحبها بعمق ويلبى لها كل طلباتها ولا يوجد  
فى حياته غير سلوى .

– لديها عزيمة واصرار واذا نوت على شىء لابد من  
تنفيذه .

– ترى أحلاما كثيرة صادقة .

صاحت والدة المدرسة :

– فعلا وهى فى الثانوية رأت فى المنام انها حصلت

على ساعة من رجل عظيم • فسرت لها ذلك بأنها ستحصل  
على الشهادة بتفوق •

– بيت الاعداء والصد السنبلة وعطارد •

– تكون كثيرة الاعداء من النساء وكل امرأة  
صاحبيتها • ويخاف عليها من امرأة سوداء اللون • مرفوعة  
القامة • بوجهها اثر واضح • تعمل لها السحر وتدفنه في  
البيوت الخربة •

– لا يوجد سواها • زوجة عمها • منها لله كل هذه  
الأوصاف تنطبق عليها • منذ ان تخرجت ابنتى والنار  
ثائرة فى جسدها لأن ابنتها التى فى سن سوسو لم تحصل  
الا على الاعدائية واعتقد انها هى التى سحرت لها لعدم  
استقرارها فى الوظيفة •

واصل الشيخ بثقة •

– تحذر من كل نجمة ترابيه فهى أكبر اعدائها • ولها  
قرين من الجان • يحرم عليها أيام الجمعة ، الأربعاء ،  
الأحد الاثنين الاقنام فيها مع أحد من الرجال وان حدث  
لابد من اتباع الآتى •

صاحت الأم بخوف :

– فعلا يا سيدنا • احيانا تصاب بالقلق فى هذه  
الأيام بالذات وليس ببعيد أن يكون الجان تسبب فى طلاقها

من زوجها • كان يحبها ويخاف عليها لكنه انقلب فجأة  
وغير معاملته لها وتبدلت ملامحه وأصبح رجلا آخر غير  
الذي عرفناه •

واصل الشيخ فى انتشاء :

– تلبس خاتم نحاس أصفر أو ذهب بفص أحمر  
عميق • تنام جهة الغرب أى جهة القبلة • تحذر معاشرة  
الرجال فى الايام سالفة الذكر •

– اغلق الشيخ الكتاب ثم القى بسه فى هدوء على  
الطبلية واعتدل فى جلسته بعدما بلع بعض الماء بعمق ثم  
راح فى لحظات مع الصمت والتأمل • بينما تنفسنا  
الصعداء •

سألت الطيبية بلهفة :

– لكن أين هى الآن ؟

– قال الشيخ وهو يمسك بريشة ذات سن مدبب  
ويغمسها فى الحبر الأحمر • الزعفران •

– نذك العمل المدفون فى الخرابة البعيدة أولا • والذى  
تسبب فى ضياعها وسيتكلف ما يقرب من خمسة وعشرين  
جنيها بسرعة البرق أخرجت أم المدرسة بضعة جنيها من  
حقيبة يدها والقت بها على الطبلية وهى تقول :

– خذ كل مامعى بشرط أن تعيد لى ابنتى واعسك  
بهديه كبيره •

سحبت الداده الفلوس وناولتها للشيخ وهى تقول :

– ثمانية عشر جنيها • خذها الآن وكل طلباتك ستنفذ  
عندما يظهر لنا دليل لها أو نعثر على خيط يوصلنا لطريقها  
نزع الشيخ عدة ورقات بيضاء من كراسه أمامه مسزق  
بعضها ثم صنع منها ورقا صغيرا وراح يكتب فى كل منها  
بالزعفران وقال بعدما انتهى موجهها كلامه لأم المدرسه :

– هذه خمس ورقات • نوبى كلا منها فى كوب ماء  
صغير وانثريها على عتبة باب البيت الذى كانت تعيش  
فيه •

– ثم ناولها حجاب وواصل الحديث •

– وهذا يوضع فيه صورته ويحفظ فى كيس ويعلق فى  
أعلى مكان فى البيت ويا حبذا لو كان فى السطوح وذلك  
حتى تاتى على عجل • وعندما تعود بالسلامة ساكتب لها  
بضعة ورقات أخرى تذوب فى ماء وتشربه حتى تثبت  
أقدامها فى البيت ولا تغادره الا الى بيت العدل • وستظهر  
بانن الله فى بحر أربعين يوما •

– وبينما نشق طريقنا وسط الزحام متجهين للخارج  
اذا بالداده تصطدم بشابة ترتدى زيا يشبه أهل المدينه  
صاحت فى وجهها •

– أهلا بالسبت فوزية الرائدة • كيف حالك وحال  
الأولاد •

– ظلا يتهامسان بعض الوقت بالقرب منا ثم افترقا  
حيث أخذت الرائدة طريقها حيث مقر الشيخ بينما عادت  
أم على لتواصل معنا الحديث •

قالت وهى تشير الى الرائدة :

– الست فوزية رائدة ريفية فى المركز كله • عندها  
خبرة سنوات •

سألته بدهشة :

– هل تقوم ببحث ظاهرة السحر فى القرية ام تبث  
التوعية فى نفوس هؤلاء الذين سيطر الوهم عليهم وضللهم  
الجهل •

قالت بأسى :

– مسكينة مع زوجها رئيس الوحدة المحلية ببلدنا •  
ليست على هواه يكرهها بعدما أنجب منها ثلاثة ابناء ويدور  
على حل شعره مع موظفة جديدة من البندر ويقال انه  
سيتزوجها • النار شعلت فى جسد الست فوزية ولا حيلة  
لها الا زيارة الشيخ وربنا يوفقها •

همست لى الطيبية بسخرية :

– ما رأيك فى اختيار الرائدة لتقوم بالتوعية لمحاربة  
الظواهر السيئة •

المسألة فى حاجة الى دراسة وجهد متواصل دون كلل  
أو ملل مع ضرورة تضادفر كل الأجهزة المعنية فى محاربة  
الفساد اقتربت منا ام على وقالت بانتشاء :

- ما رأيكم فى ان المدرسة ظهرت
- اندهشنا جميعا وسألنا فى صوت واحد
- كيف ومتى وأين هى الآن ؟

– بعض الفلاحين ابلغوا الست فوزية بأنهم شاهدوها  
صباح اليوم فى سوق المركز •  
ثم اقتربت من الطبيبة وقد ابتعدت قليلا عن أم سلوى  
وقالت هامسة :

– كان بصحبتها رجل يقال انها تزوجته سسرا وتعيش  
معه •

قالت لها الطبيبة بهدوء :

– اخفى على هذا الخبر ماجور • واياك ان تبوحسى  
لأمها •

• انفجرت اسارير أم سلوى وراحت تردد فى انتشاء •  
– ابنتى حبيبتى متى اراك ونلم الشمل •  
لاحقتها أم على وأضافت :

– بركاتك يا شيخ جمعة • قلت لكم أن سره بائع  
بحق •

( ٢٣ )

## حالة كشف

دق باب العيادة بعنف بينما كنت اتحدث مع الطبيبة  
حول مشروعات التوعية الصحية والاجتماعية للقرية ودور  
الرائدة الريفية فى ذلك .

انتفضت الطبيبة مزعورة وقالت بقلق :

ـ ادخل .

ـ الطارق فتاة لا يزيد سنها عن الثالثة عشرة .  
لكانت مضطربة وقد كست الصفرة وجهها . دخلت على  
الفور مهرولة وقالت وهى تبكى :

ـ انقذى امى . يادكتورة . اغمى عليها وفقدت  
النطق .

تقع دار المريضة فى اطراف القرية . بنيت بالطوب  
النئى ولا اثر فيها لطيور أو بهائم .

ترقد المريضة على فراش ردىء فى قاعة تطل على  
فناء صغير يوصل لزرابية اغمضت عينيها وقد شسحب  
وجهها وبدا الهزال واضحا على جسدها النحيل .

وضعت الطبيبة الترمومتر فى قمها وبعد لحظات  
أصابها الذهول عندما اكتشفت أن الحرارة مرتفعة جدا  
وتكاد تقترب من النهاية .

سالت الطبيبة بقلق :

— كانت أمك حاملا فى شهرها الثامن عندما زرتها  
آخر مرة فأين الطفل ؟

اجابت الفتاة وهى تجفف دموعها بكم جلابها .  
— مات بعد الولادة .

— متى حدث هذا . ولماذا لم تبلغونى عندما شعرت  
بالام الوضع .

قالت الفتاة بمرارة :

— منها لله أم ابراهيم الداية . طلبها والدى بعد  
منتصف الليل . ظلت تضغط على بطن أمى وتضربها  
بعنف وتقول فى صراخ :

— الحقونى يا ناس الولادة عسرة .

ثم طلبت منى أن أجلس على بطنها لكننى خفت وبكيت  
عندما أغمى عليها وفقدت النطق .

وقفت الطبيبة مذهولة وكأنها تلعن اليوم الذى ساقها  
للعمل فى هذه القرية التى مازال أهلها يسبحون فى انهار  
الجهل والامية . فقد نبهت أكثر من مرة لخطورة هذه  
الداية وبلغت شيخ الزاوية ان يعلن فى الميكرفون ليعلم  
كل الناس انها ممنوعة من مزاوله المهنة . لقد تغير الزمن  
وزحف التقدم على الريف وأصبح هناك فى كل قرية  
طبيبة بل واكثر فلماذا يحدث هذا ؟

سألته لآخرجها من تلك الدوامة :

– المريضة محمومة ويجب انقاذها بسرعة

ازداد انفعالها بالغضب عندما لمحت زوج المريضة الذى  
ارتدى جلبابا مزينا ببقع من الطين وكان يسير حافيا وقد  
هده التعب وقالت بكدر :

– ابنك مات من سوء تصرفك . بالاضافة الى ان  
زوجتك مريضة بحمى النفاس .

اجاب بخشوع وحرز :

– نصيب يا دكتورة ابنى الوحيد الذى كنت أتمنى  
تراب رجله ربنا افكره . كله بأمره .

لاحقته الطبيبة على الفور :

- لا • الجهل وعدم اطاعة التعليمات هما السبب •
- تراجع الرجل بخطوات مضطربة للخلف وقال وهو  
يخبط كفا بكف :
- استغفر الله العظيم الدكتور كفرت يا ناس •  
لا حوله ولا قوة الا بالله •

• ثم غادر الدار فى زهول •

الحالة تزداد سوءا مع مرور الوقت اعطتها الطبيبة  
بعض المسكنات لتخفض درجة الحرارة ثم تعد لنقلها الى  
حميات المركز • طلبت من الابنة التى مازالت تبكى أن تغير  
الفراش وتفتح شباك الحجرة لتدخل الشمس والهواء ولكن  
الابنة رفضت خوفا من البرد • اقنعتها بضرورة تنفيذ  
ما طلب منها حتى تشم أمها الهواء النقى الذى يعيد لها  
الحيوية والصحة •

بعد لحظات عدنا للعيادة وبصحبتنا الفتاة لتحصل  
على الأدوية كالبنسولين • بحثت عنها الطبيبة فى كل مكان  
فلم تجدها سألت عنها عمال الوحدة الذين يأخذونها بدون  
اذن ولكنهم انكروا معرفتهم بها • لم تجد الا ان تكتسب  
روجئة علاج وتناولها للابنة على ان تحضر الدواء فى  
أقرب وقت ممكن •

ثم واصلت الكشف على بعض الحالات التى مازالت  
فى الانتظار • ربما الفتاة أخذت طريقها للخارج وقبل ان

تلحق به اذا برجل يأتى مهرولا لدرجة انه اصطدم بأحد  
المرضى الذى سقط على الأرض .

صرخت الفتاة فى وجهه وقالت :

– أمى اصابها مكروه يا أبوى .

اجاب بصوت متحشرج وقد اصفر وجهه وارتبك وهو  
يهم بالصعود للعيادة :

– اين الست الدكتوراة ؟

هبطت الطبيبة على الفور وسألته :

– ماذا حدث ؟

اجاب بصوت حزين والدموع قد تجمدت فى عينيه :

– ام خديجة فى حالة خطيرة . تركتها بين الحياة  
والموت .

لم نجد مفرا من العودة لدار المريضة رغم ان ستائر  
الليل قد غطت القرية باكملها وساد صمت كئيب .

قالت الطبيبة بعد الكشف للزوج :

– حالتها خطيرة ولا بد من نقلها فورا لحميات المركز .

لم يحرك الرجل ساكنا بل راح يتأملها فى ذهول .

جذبت الفتاة من يدها وسألته ان تتجه الى المحطة

لاحضار عربة أو أى وسيلة أخرى حتى لو كانت حمارا  
صرخ الرجل وهو يعيد الابنة لمكانها ويقول :

– مستحيل تترك دارها • سأبيع القيراط الذى أملكه  
من الدنيا وأعالجها فى دارها حتى لو كلفنى الأمر لبيع  
الحيطان وحبّة الغلّة • قوتنا الضرورى •

وصلت الطبيبة لقمة انفعالها ولكنها ظلت صامته •  
شاردة ولم تنطق بكلمة •

قلت لها لأهدىء من روعها :

– ننتظر قليلا فربما يفيق بعد قليل ويدرك خطورة  
الموقف •

واصل الرجل الحديث وقال :

– اهون على تموت فى دارها •

اقتربت منه وحاولت أن أفهمه أن الحسالة خطيرة  
وجودها فى المستشفى فى صالحها حيث هناك الرعاية  
والاهتمام • لكنه راح يبكى ويضرب كفا بكف ويقول :

– حميات المركز • يا مصيبتك يا رجب • اللى يدخلها  
ماشيا يخرج على ظهره •

ما زالت الطبيبة فى حيرة من أمره • سألتها أن نبلغ  
العمدة فربما نجد عنده الحل ولكنها قالت بياس •

– العمدة مات بينما كنت فى القاهرة وحتى الآن لم يتم اختيار سواه .

– نبلغ الشرطة حتى تخلى مسئوليتك .

– لا يوجد فى القرية كلها نقطة شرطة ولم يفكر أى مسئول فى المطالبة بذلك رغم اننا اثرنا هذه المشكلة فى اجتماعات المجلس القروى عدة مرات . ( يعملون وذن من طين وأخرى من عجين ) .

• نستدعى شيخ البلد فربما يكون له تأثير .

– فى المستشفى حاليا لاجراء عملية جراحية .

قطع الحديث الزوج وقال بحزن :

– شيخ البلد ربنا افكره .

نظرت الطبيبة حولها بدهشة ثم وقفت حائرة . صامته جامدة وكانما فقدت القدرة على الحراك .

وبعد لحظات من التفكير والشروذ نزعنت ورقة من دفتر صغير كان فى حقيبتها ثم دونت بعض الأدوية وقالت وهى تناولها للزوج :

– اصرف هذه الروجته حالا من أى صيدلية .

ثم نزعنت ورقة أخرى وسجلت فيها بعض البيانات وقالت بياس :

– وقع على تحمل المسئولية •

أجاب بخوف :

– لا اقرأ ولا اكتب ••

– ناولنى ختمك •

وبيد ترتعد اخرج من جيب سقرته الداخلى الختم ثم انطلق مهرولا يقطع المسافات الطويلة لحارات القرية الضيقة حتى وصل الى المحطة التى مازالت ساهرة على ضجيج السيارات والعربات •

اوقفه شيخ الزاوية وسأله :

– الى اين يا رجب يا ابنى • الدنيا ليل والوقت

متأخر •

اجاب بصوت ضعيف وقد اضطرب من شدة الخوف :

– الى المركز يا سيدنا • اشترى الدواء لام خديجة •

اصلها بعافية وفى حاجة لدعواتك •

قال الشيخ وهو يربت على كتفه :

– لا تتعب نفسك هذه الساعة • والنهار له عيون •

كل الابواب مغلقة الآن • هيا الى الزاوية توضا وصلنى

ركعتين واطلب الدعوات من رب العباد •

سار الرجل بجوار الشيخ في خشوع وبدون اعتراض  
بعد لحظات ارتفع صوت الاذان يهز جدران القرية  
الصغيرة . وما ان هدا الصوت قليلا حتى تسرب عبر  
خيوط الفجر صوت انين ضعيف وصراخ ونحيب ولا زال  
الليل المخيف لم يرحل بعد .

تسلل الى اذانه صوت الابنة الصغيرة . .

الى اين يا امي . الدار اصبحت ظلاما .

سقط مغشيا عليه بينما الشيخ يقف بجواره يقرأ بعض  
آيات من القرآن ويقول له . عوضك على الله يا رجب  
يا ابني . مقدر ومكتوب .

( ٢٤ )

## قلق

وبينما أتناول غذائي عصر اليوم اذا بطرق عنيف على  
الباب وبطريقة اضطربت معها نفسى . اندهشت عندما  
وجدت الطبيبة امامى . كانت منفعلة بالغضب . جذبتنى  
من يدى بشدة ومازالت تقف بالخارج ثم قالت بانفعال :

— هيا معى الآن .

سألتها باستغراب :

— الى أين فى هذا الوقت الحرج ؟

أجابت بغضب واضطراب :

— الى قرية العطف لامسك بالحرامى

ربت على كتفها مهدئة وقلت :

— استريحى أولا ثم احكى لى ما يؤلك حتى نتصرف

بحكمة .

ناولتها بعض الطعام وكوبا من الشاي • قالت وهي  
تأكل بعضه وتبلع ريقها بجرعة من الشاي •

في صباح اليوم جاءتنى حالة كشف مستعجلة في  
قرية قريبة وعندما عدت للاستراحة لم أجد السخان الخاص  
بى رغم أننى بحثت عنه فى كل مكان بالوحدة حتى  
الحديقة •

وهل هذا سبب ثورتك ؟

اعتقد ان هذا يكفى وخصوصا انه هدية من اخى المقيم  
بالخارج •

آه لو تعلمى ماذا حدث لى بالامس كنت ضربت بكل  
شئ عرض الحائط •

هدأت بعض الشئ ثم راحت تتناول باقى الطعام  
وقالت :

منذ الصباح لم اتناول حتى جرعة ماء •

ما حدث شئ بسيط ولا يستدعى كل هذا الانفعال •

سألتنى وقد هدأت بعض الشئ ••

هل أصابك مكروه ؟ تكلمى ربما ما يؤلمك يهون على  
ما حدث •

عدت بالامس من القاهرة لاجد شقتى هذه قد غرقت

فى بركة من المياه والسبب عدم اغلاق حنفيات شقة سمعان بيه وبالطبع لم احتمل وخصوصا اننى كنت مرهقة ولا اقوى على نزحها بنفسى ومن ثم ارسلت لاستدعاء أحد العمال المقيمين بالمقرية . جاء على الفور لا ليلى طلبى ولكن ليجمع بعض الجرجير من ارض الوحده المزروعة بالخضروات ثم استاذن لوجود بعض الضيوف بداره وقد وعدنى بالعودة بعد قليل لتلبية كل طلباتى . وانتظرت بفارغ الصبر باقى النهار على أمل . يبدو انه قد رحل مع الغروب . ومع مرور الوقت كانت المياه قد تسربت لداخل الشقة ووصلت لحجرة النوم واغرقت كل شىء . ونظرت من الشرفة على اراه قادم مع شعاع القمر الرقيق فى بداية ليل طويل ولكنه كان حلم يقظة وكأنه فص ملح وذاب وعندما فرش الليل عباءته السوداء على الكون وكنت قد فقدت آخر خيط للأمل قمت بنزحها بنفسى وبقيت على هذه الحال من العمل الشاق حتى منتصف الليل الى أن جفت الأرض وكانت قواى قد هلكت معها ولم اشعر بعدها بتسرب مياه اخرى ويبدو ان العامل قد أغلق المحبس الرئيسى للمبنى وهذا كل ما فعله لأننى حاولت أن استعمل حنفية المياه ولكنها لم تدر ولو حتى قطرة واحدة واعتقدت ان المياه قد انقطعت .

كانت الطبيبة قد نسيت مشكلتها بصفة مؤقتة واندمجت فى الحديث معى ثم سألتنى بتعجب - ؟ وبالطبع منعك

طبيبتك من اتخاذ أى إجراء ضده حتى لا يعاقب وهو فقير  
ويعول رزمة من الاولاد .

ماذا تفيد الشكوى . فكرت فى اللجوء للمدير رغم اننى  
أعرف ان النتيجة سلبية . فهناك عشرات الشكاوى تكدرت  
فى درج مكتبه او ربما ألقى بها فى دولاى مهمل وعفى  
عليها الزمن . بعضها خاص باصلاح شبك الصالة المطل  
على الطريق الزراعى والذى تسبب فى صعود العمال  
ليلا معتقدين ان بالشقة حرامى وبعضها خاص بتجديد فرش  
السريير الذى غدا مرتعا للبق وتمزق معظمه وما بقى  
منه قد غطاء التراب والكثير من الشكاوى بخصوص  
تجديد السكن بأشياء ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها  
وخصوصا ان الأرض عارية ونحن فى عز الشتاء . حتى  
المطبخ لا يوجد به نملية لحفظ المأكولات والشكوى الخاصة  
بها لا أعرف مصيرها وفى كل مرة اسأل عنها يقول الرئيس  
بلا مبالاة .

لا توجد ميزانية للتأثيث حاليا . والأثاث الموجود  
صالح للاستعمال .

قالت الطبيبة بغضب :

— ياله من انسان ردىء .

( ٢٥ )

## السخان المفقود

ما أن وصلنا لدار العامل المتهم باخفاء السخان حتى صرخت الطبيبة فى وجه زوجته وامام أبنائه الصغار وراحت تسببه وتلعنه اثناء غيابه وفتت الزوجة مرتبكة ترمقها بنظرات عدائية وقد انفجر أطفالها فى البكاء وساد ضجيج هز جدران الدار الصغيرة وخصوصا ان العامل المعنى غير موجود \* ولم تكثف الطبيبة بذلك بل راحت تبحث فى كل ركن بالدار وبأسلوب فوضوى وتبتسم فى غيظ \*

— لماذا يكرهنى هذا العامل الرديء لاشك أنه ينتقم منى باخفائه للسخان -

ثم هزت كتف زوجته بعنف وقالت بصوت مرتفع :

— أين السخان دليئى عليه ؟

ظلت السيدة صامته واكتفت بأن تنظر لها باحتقار  
بينما وقفت مزهولة من هول ما رأيت وكدت ان انصرف  
وحدى لكن الزوجة امسكت بي قائلة :

– انتظري يا أميرة • العشاء جاهز و ابو شعبان على  
وصول •

ظلت الطبيبة تبحث عن السخان بعصبية فى كل مكان  
لدرجة انها كانت تفتش تحت السرير والكنبة وحتى فى تراب  
الكانون حتى حظيرة المواشى لم تفلت من أسلوبها الشاذ  
فى البحث وعندما لم تجد شيئاً تقلب كل شىء رأساً على  
عقب وهى تصرخ فى عصبية بينما وقفت الزوجة صامته  
ترمقها فى دهشة وخوف •

وتعجبت لحالها • لماذا لم تدافع عن نفسها أو عن  
زوجها ولو بكلمة • ربما تخشى غضب الطبيبة وخصوصا  
أنها الوحيدة حالياً فى كل القرى التابعة للوحدة الصحية •

وقفت حائرة اتأملها فى دهشة لأننى لم أكن اتوقع  
تصرفها بهذا الأسلوب اللا انسانى • مرت لحظات من هذا  
التوتر ثم فجأة غادرت الطبيبة الدار دون استئذان •  
ظننت أنها ستقضى بعض الطلبات ثم تعود ولكن خاب  
ظنى • قطعت شرودى طفلة صغيرة وقدمت لى كوبا من  
اللبن الساخن اقتربت منى زوجة العامل وقالت وهى  
تشير اليها :

– ابنتى الوحيدة كريمة مكتوب كتابها على ابن خالتها  
تجهز لها هذه الأيام وقريبا ستزف اليه .

اقتربت من الصبية وسألتها بصوت منخفض :

– كم تبلغين من العمر ؟

أجابت فى همس :

– ثلاثة عشر .

ذهلت . كيف ستصبح هذه الطفلة أما وربة بيت وكيف  
ستتحمل المسؤولية .

واحدت أمها التى كانت على قرب منا .

احسن شىء للبيت سترها .

همست لنفسى فى ضيق .

– اليس من الأفضل ان تقوم الطيبة – ببحث هذه  
المشكلة والمشاركة فى وضع الحلول مع المسئولين بدلا من  
استغراقها فى مشاكل ليست ذات قيمة ؟

تاهبت للانصراف وخصوصا عندما يئست من انتظار  
الطيبة وفقدت الأمل فى عودتها فلقد اختفت فى لمح المبرق  
واستأنذنت فى الرحيل رغم الحاح زوجة العامل المستمر  
لبقائى لكى اتناول العشاء معهم وعودة عم محمد العامل  
المتهم ليوصلنى الا اننى قررت رغم الظلام الذى كسسى  
أركان القرية .

أصرت الزوجة على اصطحابى للمحطة وقبل ان نتقرب

من عتبة الباب الخارجى صاحت بلهفة كمن وجد ضالته  
الحاج وصل .

اقترب منى وقال وهو يضافحنى بحفاوة :

اهلا يا استاذة .

بعد لحظات انفعل بالغضب بعد أن شرحت له الزوجة  
سبب هذه الزيارة المفاجئة وقال بغضب :

– هل يعجبك تصرفات الطبيبة السيئة ياست ليلى .  
انها تعاملنى بأسلوب لا انسانى . نحن فلاحون ولم نحصل  
على قدر كبير من التعليم لكن نعرف الأصول ونحترم  
الاخلاق والعادات الحميدة . مع الأسف هذه المرأة اثبتت  
أنها بلا أخلاق .

غلى الدم فى عروقى وانفعلت بالغضب رغم عدم  
اقتناعى بسلوكها هذا اليوم الا اننى لا حقتة قائلة :

لا أسمح أن تهان زميلة بهذا الاسلوب وخصوصا أثناء  
غيابها . ولا تنس انها تؤدى خدمة جليلة لأهل البلد  
وتسهر على راحة المرضى وعلاجهم . ليل نهار .

أجاب بمرارة :

– لا يخدعك مظهرها يا ست ليلى . غرضها جمع  
المال ومعظم حالات الكشف التى تأتىها تحصل منها على  
أجر مرتفع حتى فقراء الفلاحين لا ترحمهم لدرجة أن بعض

المرضى لا يجد الا ان يبتاع قوته الضرورى كالغلة مثلا  
ليسدد ثمن الكشف .

ان ما يقال فى نظرى أغرب من الخيال . لا أكاد  
أصدق . لهذه الدرجة يسيئون فهم الطبيية اهتزت أوصالى  
وشعرت بشىء من الخوف . ربما ساواجه مثل هذه المواقف  
فى الأيام القادمة ولكن اعتقد ان احتمال ذلك بعيد لأننى  
لم أسىء معاملة أحد من المستفيدين أو الموظفين أو العمال  
الذين اتعامل معهم امام الملأ .

عدت بذاكرتى للأمس القريب . أيقنت ان هذا العامل  
ليس الوحيد الذى تسىء معاملته الطبيية فهناك العشرات  
من موظفى المجلس القروى قد تعاملوا معها ثبت فشل الكشف  
ولم يقتنعوا بنوعية العلاج الذى قررته لهم فأحدهم ذهب  
اليها ليعالج أذنه من بعض الآلام فحقنته بالبنسلين ولم  
يعجبه وظل يسخر منها امام الملأ بينما كنت اقضى بعض  
الطلبات بالمجلس واحزننى ما سمعت عن زميلة تكافح  
مثلى فى الغربية وحاولت ان أشرح له أن مثل هذه الحقن  
مفيدة لحالته ولكنه لم يقتنع . وهناك موظف آخر أصيبت  
ابنته بنزلة برد وتوجه لعيادة الطبيية فاعطتها اقراص  
سلفا . وبالطبع لم يعجبه هذا الصنف من الدواء بحجة  
أنه لن يفيد فى حالتها المرضية .

حاولت اقناعه ربما يكون له تأثير ولكنه ظل مصرا  
على رأيه .

كنت اتعجب وأسأل نفسي : ماذا ارتكبت الطبيعية من  
آثام حتى تواجه مثل هذه التهم التي هبطت عليها كالسيول  
تجرف ما أمامها . هل لأنها تؤمن بالحرية وترغب فى أن  
تعيشها بالطريقة التى تراها غير ما يؤمن به البشر فى  
مثل هذه البيئات البسيطة أم لأنها تقوم بالكشف الخصوصى  
فى معظم الأحيان وتتقاضى مبالغ كبيرة ؟ ام ماذا ياترى ؟  
لقد احترت وضالقت نفسى من كثرة ما سمعت من اشاعات  
موجهة لشخص الطبيعة لقد رثيت لحالها وخشيت على  
نفسى أيضا لكن ما العمل . هل استمر فى صداقتى لها  
واضرب بكل ما سمعت عرض الحائط . عادت ذاكرتى  
للأمس القريب وتذكرت ما قالت له لى أثناء نزمة قصيرة على  
شاطئ التربة بعد الغروب .

الناس هنا يخشون تكتل المسئولين وخاصة انك  
مسئولة عن الوحدة الاجتماعية وأنا عن الصحية وكل منا  
تمثل مركز قوة فى نظرهم وخصوصا اذا اجتمعنا واصبحنا  
يدا واحدة ومن ثم سيحاولون بكافة الطرق التفرقة بيننا .  
ربما تكون الطبيعة صادقة فيما قالته لكن هل هذا هو  
السبب المباشر للهجوم عليها أم هناك أسباب خفية اذن  
المسألة فى حاجة الى تقدير سليم للأمور ومحاولة جادة  
لتقصي الحقائق من مصادر موثوق بها استأذنت  
بالانصراف . أوصلنى العامل المتهم لباب الاستراحة نظرا  
لوحشة الطريق فى هذا الوقت الحرج .

ما أن علمت الطيبية بوصولى حتى جاءت على الفور  
وقالت ببساطة وهدوء :

– لقد عثرت على السخان فى الصيدلية كان ملفوفا  
ببطانية وهناك احتمال كبير ان يكون الكلب المدعو محمد  
قد هربه واخفاه ليتلف اعصابى انتقاما منى .

سالتها وانا اتجه للفراش وقد هدنى التعب :

– هل بينكما ثار ؟

– يتهمنى بسوء السلوك وخاصة عندما يجدى احدى  
بعض وقت فراغى مع عامل العيادة الذى يصغره بسنوات  
واكثر منه حيوية وشباب ويغار منه لأنه يحمل حقيقة  
الكشف ويتقاضى البقشيش .

قلت لها بغیظ وانا اتشاءب استعدادا للنوم :

– ربما لا يقول ذلك من فراغ .

قالت بلا مبالاة .

– احيانا انسى اننى طبيبة واهبط لمستواهم .

قلت لها مدبرة :

– لا تنسى انك رئيسة وهم مرءوسون وعلى الرئيس  
أن يكون ديمقراطيا بالقدر الذى لا يفقد فيه احترام  
المرءوسين وخاصة فى مثل هذه البيئة التى تحكمها العادات  
والتقاليد .

انسحبت فى صمت ويبدو أنها لم تقتنع برأىي .

( ٢٦ )

## شكوى

وبينما كنت أفحص أوراق العمل اذا بسمعان بيه ياتى  
على عجل ، نظر لى بدهشة ثم تلفت حوله وكأنه قد  
ارتكب خطأ جسيما ويخشى أن يراه أحد .

سألته باستغراب :

— ما الذى أتى بك فى هذا الصباح الباكر . واعتقد  
ان هذا ليس من عادتك .

الجاب وهو يقترب منى :

— قمت مبكرا وفكرت ان اشم بعض الهواء النقى .

ظل صامتا لحظات ثم نظر حوله مرة اخرى وعندما  
لم يجد أحدا سألنى بلهجة سريعة .

— هل طلبت شيئا يخصك من أحد المستفيدين ؟

سألته بقلق :

– ماذا تقصد ؟

أجاب بسرور :

– تقدم فلاح بشكوى ضدك لمدير الادارة يتهمك بأنك طلبت منه أشياء خاصة بك مقابل صرف مساعدة أسسر المجندين لابنه .

بسرعة البرق تسرب الخوف الى نفسى ولكننى تماكنت اعصابى وسألته .

– من يكون هذا . ومن اى قرية ؟

قال بهدوء وثقة :

– هل شعرت بالخوف . انها مجرد شكوى لكن ربما بعد التحقيق تثبت التهمة وتصبح جريمة يعاقب عليها القانون .

حاولت جاهدة ان اطردهم الخوف الذى ملأ نفسى ثم تجاسرت وقلت .

أنا واثقة ان ما حدث لعبة دبرها احد الحاقدين كسلاح يحاربنى به . ربما يخشى على منصبه الذى وصل اليه بخداع البسطاء من الناس وذلك عندما أصبح يعمل معه آخر أكثر وعيا وحرصا على مصلحة العمل . وهذا الحاقد

المضلل من الموظفين هنا • والذين يخشون حرمانهم من الرزق الحرام الذى يحصلون عليه من عرق البؤساء وذلك عندما يخرسون فى أنفسهم الوهم بأنهم هم المنصفون لهم •

تنهد الرئيس بصعوبة وقال بضيق :

— على أى حال صاحب الشكوى من اهالى قرية بهيت وهو رجل مسن •

كان يقف بالقرب من سمعان بيه العامل غريب وهو من نفس القرية وما ان سمع ما دار بيننا حتى انتابه الخوف وشردت نظراته •

نظر له الرئيس وقال وهو يضربه على كتفه :

— ما الذى جاء بك يا غبى هذا الصباح • لقد حسبت اننى وحدى •

قال غريب وقد اصفر وجهه :

— لم أنم ليلة أمس وعندما شعرت بالقلق •• حضرت على الفور •

سال الرئيس بعنف :

— لماذا هل ارتكب جريمة • امش على المنحل •

اجاب العامل وهو يعدو :

— سمعا وطاعا يا سمعان بيه •

• حاولت أن أعصر ذهني لاتذكر مساوئ هذا العامل •

بالأمس عندما توجهت الى الوحدة الصحية قبل نهاية وقت العمل وذلك لاستكمال بعض الأبحاث رأيت غريباً هذا يقف مع بعض المستفيدين ويتحدث معهم بود وعندما اقتربت منه اضطرب بينما كان يضع شيئاً ما في جيبه •

كان قد أخذه من المستفيدين ثم قال لهم بلهجة سريعة :

— ساأبذل كل جهدي في استتعال طلباتكم ثم انصرف قبل أن اقترب منه • وعندما عاد للوحدة سألته عما كان يفعل قال بخوف :

— بعض المستفيدين كانوا يسألون عن سبب تأخير طلباتهم •

ولماذا تتحدث معهم خارج المكتب ؟

أجاب بخبث :

— أردت أن أرحمك من متاعبهم •

لا تشغل بالك بذلك فلقد جئت من أجلهم ولا تجعلني اتخذ أي إجراء ضدك • ولا تنس أنك رب أسرة •

انصرف وهو يهز رأسه علامة الموافقة ويبدو أنه كان يخفي شيئاً ما •

سألنى الرئيس ليخرجنى من شرودى •  
لا تفكرى كثيرا • انها مجرد شكوى وفى امكاننا  
مساعدتك •

كنت افكر فى بعض الأبحاث المتأخرة ثم لا اخاف احدا  
وثقتى فى الله تفوق الحد •

قال وهو يقترب منى بصوت منخفض •  
لقد وقع نظرى عليها عندما كنت فى ادارة المراقبة  
الاجتماعية وطلب منى المدير العام عدم اثاره الموضوع  
وكان يرغب فى اخفائها لكننى اردت ان اخبرك لتأخذى  
حذرك • فالناس هنا اشرار ومهما بذلت من مجهود  
لراحتهم فلن يعجبهم شىء ودائما يطلبون المزيد •  
قلت له مشفقة :

— ارجو الا تقسو على الفقراء فلا مصلحة لهم فى  
ذلك •

قطع الحديث غريب الذى جاء على عجل ليقول  
للرئيس :

— تليفون من المديرية يا سمعان بيه •  
قال المدير بلهجة سريعة قبل أن ينصرف :  
— لا تخافى وتجلدى لأنك ستجدين من هذا النوع  
الكثير ولا داعى لاثارة المتاعب •

أجبتّه بشجاعة وثقة :

— مثل هذه المسائل التي تتعلق بالشرف والكرامة لا ينبغي السكوت عليها وخاصة إذا كان المتهم بريئاً .

وقفت حائرة وقد اصابنى بعض الدوار . ألقيت نظرة حولى حيث زملائى الذين يكتنون لى احتراماً وتقديراً والمستفيدين الذين يحبوننى لنزاهتى وحسن تصرفى معهم لكن ماذا سيكون موقفى لو تحولت مشاعرهم . حتماً سيحدث هذا .

وياخبر بفلوس . لاحظتها لن احتمل نظراتهم المريبة وسوء معاملتهم لى ليصبح من العسير البقاء هنا ومواجهة العشرات من المستفيدين الذين دائماً يمطرونى بدعواتهم الطيبة . لن أسكت وساواصل السير للبحث عن الحقيقة .

قطع حديثى مع نفسى المهندس احمد وقال :

— هل تكلمين نفسك ؟

أجبتّه بشىء من الارتياح :

— لاشىء سوى بعض القلق بخصوص طلبات المستفيدين التي لم تصل بعد .

قال وهو يقترب منى وقد لامست يدى يده :

– لقد تسرب الى سمعى كلمات غريبة .. حبس ..  
ظلم .. ثم لماذا ترتعد يديك • لاشك أنك فى حاجة الى تغيير  
هذا الجو المشحون بالمشاكل ولتكن رحلة قصيرة فى  
احضان الطبيعة الهادئة تنسين فيها متاعب العمل ومشاكل  
المستفيدين وتعودين لنفسك •

اجبته بخوف ومازالت يدي تصافح يده :

– عندك حق • فزحمة العمل ومشاكل المستفيدين  
ارهقتنى •

– لماذا لا تسافرى الى القاهرة ؟

– لا تشغل بالك • اننى بخير •

لقد نسيت يدي فى يده لحظات • شعرت فيها بالدفء  
والراحة التى تسربت الى كل كيانى وذاب الخوف الذى  
كاد ان يجمد أطرافى • تمنيت ساعتها أن يأخذنى أحمد  
لأعيش بعيدا عن هذا الجو الكئيب بكل ما يحمله من مشاكل  
فانا الآن لا أريد القاهرة ولا القرية ولكننى أرغب فى البقاء  
معه ليحمينى ويدافع عنى حتى لا تفترسنى الوحوش •

كدت أن أصرخ بأعلى صوتى وألقى برأسى على كتفه •

خذنى من هذا الواقع • بعيدا عن المزيفين والخوغاء  
احمنى لأننى ضعيفة ولا أقوى على المقاومة •

افقت على اصوات المستفيدين فى الخارج حيث كانت  
تنادينى • انهم ينتظرون بفارغ الصبر • كل امالهم معلقة  
على ان تساعدهم الاخصائية الجديدة وتخلصهم من معاناتهم •

قال أحمد وأنا اغادر المكتب لمقابلة المستفيدين الذين  
انتشروا بالعشرات فى فناء الوحدة الاجتماعية •

لا تخدعى نفسك اكثر من ذلك ولا بد ان نجد لنا حلا •  
ربنا يقدم الخير •

اتجه احمد الى مكتبه فى المجلس وما زالت نظراته  
تلاحقنى • تسرب القلق الى نفسى ماذا لو علم بالتهمة  
الموجهة لى لا شك أنه سيتغير وربما سيبتعد عنى ولن يفكر  
فى السؤال عنى لكن الشئ الذى كان يصبرنى أنه يحبنى  
وحتما سيقف بجانبى وخصوصا اذا علم اننى مظلومة •

اقتربت منى موظفة • شعرت بالخوف عندما المقت  
تحية الصباح لم تكن كعادتها • كانت تمر من امامى فى  
معظم الاوقات دون أن تهمس بكلمة • صمتت قليلا وهى  
تقترب منى أكثر • توقعت انها ستحدثنى فى موضوع  
الشكوى لكن خاب ظنى • عندما سألتنى :

— ماذا بك يا ليلى ؟ لماذا تكتئبين هكذا ؟ هل أغضبك  
سمعان بيه فى شئ ؟ انه يفعل ذلك كثيرا معنا لكننا  
نراعى ظروفه لأنه مريض •

أجبتها وقد هدات نفسى قليلا :

– لا شىء سوى مرض أمى يقلقنى أحيانا .

– لماذا لا تسافرى . هل يشغلك التوقيع فى دفتر الحضور والانصراف . اطمئنى . سوف اقوم بالواجب وبالنسبة للغياب فلا تكثرئى . هنا الاجازات مفتوحة بسبب وبدون . .

همست لنفسى بغیظ وأنا انظر اليها .

– أنت ايضا من هذا النوع المستهتر . اننى بالفعل فى امس الحاجة للتغيير والبعد عن مصدر المشاكل لكن لا ينبغى أن أترك الخصم يستغل غيابى ويلهو كما يشاء . لا بد أن ادافع عن نفسى لأن غيابى لا يعنى سوى الهروب من مسرح الجريمة وسأبقى حتى تثبت براءتى .

بدأت الهواجيس والظنون تطاردنى وأنا انجز بعض ابحاث المستفيدين . عصرت ذهنى لأتذكر أى شىء حدث بينى وبين أحد المستفيدين ويطلق عليه رشوة . وتذكرت الحادثة الأولى .

– فى بداية وجودى فى الوحدة جاءتنى سيدة عجوز واشتكت من أحد عمال الوحدة ويدعى غريبا حيث أخذ منها الختم . ووعدا بصرف المعاش وتوصيله لبيتها لأنها من بلدته . والجار أولى بالمعروف . وكانت قد حضرت

لهذا الغرض عدة مرات ولم تجد مندوب المصرف وبعد  
معاناة صرف لها شهرين من معاشها المتأخر ولم يسلمها  
الباقى رغم انه ختم بخاتمها انها استلمت المبلغ كله .

نظرت لى بحزن وقالت :

— انت عارفه ظروفنا يا ست ليلى . فقراء ونعيش على  
رزق يوم بيوم . ساعديني لأحصل على باقى فلوسى .  
شهر متأخر لم استلمه . اخذت منها السركى المسجل به  
مواعيد الصرف وتأكدت من صحة ما قالت . استدعيت  
العامل وعندما سألته عما حدث انكر ثم قال بجرأة وهو  
يقترب منها وكانما يهم بضربها وقد وجه نظره لى .

— لا تصدقى هؤلاء يا ست ليلى . ليس وراءهم غير  
المتاعب ووجع القلب . ثم خبط العجوز فى كتفها وهو  
يقول . .

— هيا الى دارك وكفى مضايقات . عندنا شغل .

تعجبت من أمره والأغرب من ذلك ان الرئيس يجلس  
على قرب منا ولم يهمس بكلمة !

واصل العامل كلامه بصوت مرتفع :

— لقد اخطأت عندما قدمت لهذه السيدة معروفا  
لا تستحقه .

سألته بعنف :

– لا داعى للضوضاء فى وجهها والصراخ ومعاملتها  
باهانة • لا تنس انها فى سن والدتك ثم من حقها ان  
تطلب مالها واذا كنت لم تأخذ منها شيئاً • لماذا تتهمك •  
هل تدعى ؟

أجاب بمرارة :

– لا تصدقى هؤلاء •• انهم يمثلون ادوار البؤس  
حتى يعطف عليهم اصحاب القلوب الرحيمة • وهذه  
السيدة التى تتهمنى تتاجر فى الزبد والجبن ولديها  
بهيمة •

انصرف العامل وهو يقول :

من بلدى وانا عارفها •

لم أجد الا ان اعدّها بحل مشكلتها رغم أن الأمل  
ضعيف •

فى صباح اليوم التالى حضرت السيدة المذكورة  
وساللتنى ان كنت فى حاجة الى زبد او جبن وبالفعل كنت  
فى أمس الحاجة لمثل هذه الأطعمة • انصرفت السيدة  
دون أن اجبها ثم عادت بعد قليل ومعها وعاء به بعض الزبد  
والجبن • وعندما سألتها عن الثمن كادت أن تترك الوعاء  
وتغادر المكان ولكننى صممت أن أدفع لها الثمن والا لن  
أقبل شيئاً وبالفعل أخذت المبلغ الذى حددته •

وبينما أفكر فى هذه الحالة وعما تعتبر رشوة ام

أم لا قطع شرودى صوت قروية شابة • كانت ترضع طفلها  
وتجر ثلاثة وراءها قالت بأسى :

– سمعنا عن طيبة قلبك يا ست ليلى • زوجى مجند من  
شهور طويلة وقدمت طلب مساعدة من عدة أسابيع للرئيس  
ولم يرد على للآن • الأولاد محتاجون مصاريف كثيرة •

سألتها أن تنتظر حتى أبحث عن طلبها وبعسد وقت  
ما عثرت عليه ولم يكن مرفقا به أية مستندات للبحث •

سألتها بدهشة • أين باقى الأوراق ؟

– لم يطلب منى احد أى طلب •

على أيه حال انسى ما مضى ونفذى ما سأطلبه منك •

اقتربت منى وهى تمطرني بدعواتها الطيبة بينما رحنت  
ادون لها فى ورقة المستندات المطلوبة وقلت لها وأنا اناولها  
اياها مطلوب شهادة حيازه زراعية من الجمعية الزراعية •  
وشهادة أخرى تثبت أنك فقيرة ولا أحد ينفق عليك ولا على  
الأولاد وتحصلين عليها من المجلس المحلى وشهادة ثالثة  
من القوات المسلحة تثبت بأن زوجك مجند •

عندما انصرفت السيدة تذكرت الحالة الثانية وتوقعت  
ربما اعتبروها رشوة وعلى ذلك طلبوا التحقيق معى •

تأخرت أوراق أحد المستفيدين نتيجة لعدم رد جهة  
حكومية وجاءتنى السيدة صاحبة الطلب وهى تحمل صرة

مليئة بالبيض البلدى ، تركتها فى مكتبى وانصرفت دون  
أن تهمس بكلمة لكننى استوقفتها لتأخذ الثمن لاننى كنت  
بالفعل فى حاجة الى البيض ، رفضت فى البداية بحجة  
ان مجهودى معهم لا يقدر بثمن وان هذه خدمة بسيطة .

والشئ الأغرب من ذلك ان احدى المهجرات حاولت  
ان تتدخل لدرجة انها حملت الصرة وطلبت منى مفتاح  
الاستراحة التى اقيم فيها لتضعها هناك بعيدا عن الأعين  
لكننى رفضت قبولها بدون ثمن ، وبعد قليل ذهبت المهاجره  
الى القروية وهمست فى اذنها وعادت واخذت منى الثمن  
وناولته للسيدة .

وبينما كنت افكر ما اذا كانت هذه الواقعة تعتبر  
رشوة أم لا اذا بالعامل يطلب منى مقابلة الرئيس ومعى  
السجلات والملفات الخاصة بعملسى لأن بعض مفتشى  
المديرية قد حضروا فى زيارة عمل .

القيت نظرة على فناء الوحدة واذا بى أجد عريسة  
سرفيس بها سائق ، سبق ان رأيته فى المدينة ، جمعت  
كل الأوراق وارسلتها مع العامل وعدت لاواصل رحلة  
البحث فى أوراق الذاكرة على أجد وقائع أخرى تثبت  
ادانتى وتذكرت المرة ، الثالثة والأخيرة .

زارتنى ذات صباح سيدة مسنة لا تملك من حطام  
الدنيا شيئاً واشتكت لى أنها لم تحصل على قيمة المعاش

حتى الآن رغم انها قدمت اوراقها منذ مدة طويلة رغم انهم يعلمون ظروفها فلا عائل لها ولا أحد ينفق عليها سوى حسنة تأتيها من فاعلى الخير . كانت تبكى رتيبة لحالها وسألتها ان تزورنى مرة فى الاستراحة كل أسبوع لقضاء بعض الطلبات مقابل بعض المال حتى يتم فحص اوراقها ومساعدتها . ولكنها لم تأت فى حضورى وعلمت بالصدفة انها حضرت مرة اثناء غيابى وكانت تحمل بعض التدر وعومت بشكل ردىء من قبل المهاجرين .

فهل اساءت لى تلك الواقعة واعتبرها البعض رشوة . لا انكر بعد ذلك اننى طلبت من أحد المستفيدين شيئا يخصنى ولم اطلب سوى الأوراق والمستندات الخاصة بمصالحهم الشخصية لكن الشيء الذى كان يحيرنى .

ما سبب هذا الاتهام ؟ هل يكن لى البعض حقدا وأراد الثأر . لاشك أن هناك شيئا غامضا ما زلت لم أعرفه .

باقى على انتهاء وقت العمل ساعة . لم احتمل الانتظار . كانت فى نفسى رغبة ملحة للوصول للحقيقة باقصى سرعة وقررت على الفور التوجه للإدارة الاجتماعية بالمركز رغم أننى لم أصل الا بعد ما يقرب من نصف الساعة .

« وفى لمح البرق كنت فى مكتب الرئيس لأستأذن بالانصراف وهناك رأيت ما عمق الأسى فى نفسى . »

كان يودع المفتشين الذين اسرعوا الى عربتهم  
وبصحبتهم غريب . كان يحمل بضعة علب كبيرة من عسل  
النحل زنة كل منها خمسة كيلو جرامات . ألقى بها فى  
العربة التى حملتهم بسرعة وطارت .

سألت عم أحمد ذلك العامل الطيب حيث كان يقف  
مبهورا :

— هل اعجبهم عسل النحل فاشتروا منه ؟

نظر لى بتعجب وغيظ وقال ساخرا :

— هذه العلب الخمسة هدية الوحدة لمجهود المفتشين  
العظيم .

لم احتمل حتى يأذن لى الرئيس بالانصراف وناولت  
العامل اذن الانصراف وغادرت المكان وبداخل لى بركان  
يغلى .

فى لمح البرق حملتنى القايسة الى مقر الادارة وحمدت  
الله لأن المدير العام مازال لم يغادر مكتبه بعد . تسرب  
الخوف الى نفسى وأنا اخطو نحو عتبة باب مكتبه . فكيف  
سيواجه هذا الموقف وخصوصا أن هذه هى المرة الاولى  
التى أزور فيها الادارة . لكننى شعرت بالاطمئنان عندما  
رحب بى وطلب لى مشروبا ولم يهمس بكلمة حول ما يخيفنى  
لدرجة اننى توقعت ان التهمة الموجهة لى ملفقة من قبل

رئيس الوحدة ولكن كانت بداخلى رغبة ملحة فى ان اتكلم  
وقلت له بهدوء .

- تعلم سيادتك انى أقوم حاليا بعمل التوعوية  
للمشروعات الاجتماعية الهادفة كالرائدة الريفية . ولقد  
اصبح عندى ما يقرب عن عشرة فتيات يرغبن فى العمل  
بهذا المشروع وذلك من قريتين فقط .

قال بصوت منخفض :

- اشكرك على مجهودك الكبير ولكن يبقى ان تعرفى  
شئيا وهو اننا فى نهاية العام المالى ومازلنا فى انتظار  
الميزانية الجديدة وعندما تصل سنبدأ فى التنفيذ .

سألته بثقة :

- هل يوجد حاليا اية مبالغ لكى نبدأ بها فى تنفيذ  
بعض المشروعات ؟

لا يوجد حاليا وعلينا الانتظار مع الاستمرار فى  
حملات التوعية المكثفة والمستمرة .

ساد صمت . همست لى نفسى :

- لقد ادرك المدير الآن اننى لم ات للسؤال عن الشكوى  
وأن الآوان أن اشير اليها لمعرفة الحقيقة وتظاهرت برغبتي  
فى الانصراف . امهلنى حتى ارتاح من عناء الطريق .

سألته ان كان يوجد أعمال أخرى فى الامكان القيام  
بها .

قال يحذر :

- - يوجد شىء يخصك وأرجو الا تقلقى ولا يؤثر فيك .
- اضطربت نفسى على الفور وسرى الخوف فى كل  
كيانى وسألته وأنا أجمع مابقى لى من شجاعة للمواجهة .
- - ما هو ؟ اتمنى لو اعرفه حالا .
- - نعم هذا من حقدك .

فتح درج مكتبه واخرج ورقة ثم قرأ محتواها .

( تطلب السيدة الاخصائية بوحدة البلدية مركز  
العياط بعض المشتريات الخاصة بها من المستفيد فرغلى  
البهنساوى بقرية بهبيت على نفقته الخاصة مقابل صرف  
المساعدة التى تخص ابنه المجند . )

- ثم واصل المدير بعدما طوى الورقة ووضعها جانبا .
- هذا موضوع الشكوى واعتقد انه تافه ولن يؤثر فيك  
لأننى اثق فى نزاهتك كإخصائية .

تسربت الراحة الى نفسى وخصوصا عندما سمعت  
هذه الجملة الاخيرة وبدا الخوف ينسحب من نفسى  
بالتدريج وقلت بجرأة .

– اتمنى أن تأخذ هذه الشكوى طريقها الطبيعى حتى لو وصلت للنيابة فهذا من حقى وسوف اتحمل المسئولية .

قال بهدوء وبساطة :

– المسألة لا تحتل هذا وقد قمت بالاجراءات اللازمة .

– هل فى امكانى معرفتها ؟

أجاب وهو يأخذ نفسا عميقا :

– استدعيت صاحب الشكوى وسألته ان كانت الاختصاصية قد طلبت منه هذه الاشياء .

لاحقته بلهفة وقلت :

– ماذا قال . هل اعترف بالحقيقة ام حاول المراوغة؟

قال المدير وهو يضحك :

– انتظرى ولا تتعجلى الأمور ثم واصل .

عندما سألته لم يهمس بكلمة وبدا الاضطراب واضحا على ملامحه فاحضرت المصحف وطلبت منه أن يحلف ولكن سرعان ما انهار واعترف بالحقيقة وقال فى خوف :

– الأبله ليلى لم تطلب اشياء محدده ولكنها طلبت التفاهم .

بالطبع لم أترك الأمور عند هذا الحد ولكن قلت له :

– انت فلاح ورجل مسن ومؤمن بالله وتعرف عقوبة الكذب وخصوصا اذا حلفت على المصحف .

أجاب الرجل والدموع فى عينيه وكأنما شعر بالندم على ما اقترف من جرم .

– انا يا سعادة البية رجل كبير وابنى الوحيد كان ينفق على ويرعى مصالحى . وحاليا مجند وقدمت طلب مساعدة طرف سمعان بيه ولما تاخر الطلب افهمنى غريب بالوحدة ان الاخصائية ممكن تساعدنى لو تفاهمت معها .

وسالته عن معنى التفاهم فشرح لى بان الست مقيمة فى الاستراحة لوحدها ومحتاجه طلبات ضرورية مثل الجبن والبيض والتمر . وانت سيد العارفين .

كاد ان يغمى على وأنا اسمع هذا الكلام وقلت للمدير :

– يعلم الله انى ألبى كل طلباتهم بدافع من ضميرى وحرصى على مصالحهم لدرجة ان الطالب الذى أشك فيه أقوم بفحصه بنفسى لو كلفنى ذلك زيارة المستفيد فى بيته .

قال المدير مطمئنا :

– أعلم ذلك ولكن هنا فى الريف يختلف الوضع عن المدينة فكل صغيرة وكبيرة لا تخفى عن العيون وأنا أعرف

قيمة مجهودك لكن دعيني أواصل الحديث حول هذا الموضوع .

وسألته ان كان ضميره يسمح له بالاساءة لست ضعيفة وضيقة فى البلد ثم انها فى منزلة ابنته .

اقترب منى وقال وهو يهم بتقبيل يدي .

— آسف يابيه . اغفرلى . أنا مستعد أتأسف لها بنفسى .

هدأت نفسى وتسربت الطمأنينة الى اغوارها وقبل ان انصرف سألت المدير :

— ليس من حقى المطالبة برد شرف ؟ !

— لا داعى لاثارة الموضوع وعودى لعملك وكونسى هليعية واذا صادفتك متاعب أخرى اتصلى بى فوراً وسوف تجدىن مثل هذه المشاكل دائماً بل وأكثر منها تعقيداً ولاشئ سوى الصبر وتحمل المسئولية .

ولقد اكتفيت هذه المرة بخصم عشرة أيام من راتبه الضعيف وانذرتة بالفصل اذا صدرت منه أية مخالفات أخرى .

( ٢٧ )

## المسرح المهجور

قبل نهاية وقت العمل قال لى المهندس أحمد بابتسامة  
عريضة •

رئيس المجلس القروى يرغب فى الحديث معك فى أمر  
هام • انتابنى الخوف وتوقعت أنه ربما يرغب فى معرفة  
رأى فى اختيار احمد كشريك لحياتى • وفكرت فى  
الاعتذار لأننى لم اتخذ قرارى الاخير بعد لكن ربما يتهمنى  
بالضعف ثم انه شخصية نبيلة ولا ينبغى الهرب منه •

وفى مكتبه الذى لا تزيد مساحته عن نصف مكتب  
رئيس الوحدة الاجتماعية رغم أنه لا يشغله بمفرده بل  
ازدحم بموظفى المجلس •

قال بعدما طلب لى مشروباً •

وردت لنا رسالة من المسرح المتنقل بالقاهرة تفيد بأن

فرقة النهار المسرحية وهى احدى فرق المسرح الحديث أبدت استعدادها فى تقديم عروض مسرحية فى القرى التى تمتلك متطلبات العرض وستعرض بعض المسرحيات الهادفة منها ٠٠ ياسين وبهية ، الفلاح الفصيح ، تغريبة الهلالية ٠٠ ومطلوب الرد خلال أسبوع من تاريخ ورود الرسالة شعرت بالارتياح فقد زال معظم القلق الذى كان يمالأ نفسى وقبل ان أجيب قال أحمد :

لا يوجد لدينا الآن سوى قاعة المسرح الكائن فى الدور الثانى لمبنى الوحدة الاجتماعية وهو مخلق حالياً لأن رئيس الوحدة • سمعان بيه • استغله مخزناً للكهن •

أضاف أحد الموظفين بحزن •

كان لقريتنا فى يوم ما مسرحاً • كنا نعرض عليه المسرحيات الهادفة ويحضرها العشرات من الفلاحين الذين كانوا يتجمعون فى هذا الغناء الواسع ولا يغادرونه الا بعد نهاية العرض وكان يشارك عشاق المسرح الذين ماتت لديهم الرغبة فى العمل وجفت فى نفوسهم أزهار الفن وتفرقوا كل فى مكان وذلك منذ قدوم رئيس الوحدة الاجتماعية منه الله •

سأل بانفعال وحماس :

— لماذا يظل المسرح مغلقاً ولا نفعل شيئاً ؟

عقب موظف آخر بسخرية وقال :

— هذه رغبة سمعان بيه • كلما استهواه الجديد يلقي  
بالقديم فى المخزن علما بأن ما حفظ فيه من أثاث صالح  
للاستعمال ومن الممكن أن تظل ما به من مقاعد ومناضد  
وأسرة وفرش صالحة للاستعمال لسنوات طويلة •

صحت بدهشة •

إذا كان لا يوجد بنود لتشغيل المشغل وفتح فصل لحو  
الأمية والنادى النسائى فمن أين يأتى بثمن الاثاث الجديد  
باستمرار ؟ !

قال موظف ثالث بضيق :

— لديه أكثر من مورد رزق بالوحدة وفى دائرتها  
على سبيل المثال • مشروع تسمين العجول بالاضافة الى  
اعانة الحكومة •

قلت موجهة كلامى لرئيس المجلس :

— لماذا لا نحاول اقناعه ببيع محتويات المخزن فى  
المزاد ثم يعاد استغلاله من جديد • فالمقريية فى أمس  
الحاجة للمسرح لأنه منبر الاصلاح بها وعن طريقه يمكن  
نشر الأفكار والقيم والسلوكيات ذات الأهداف النبيلة وعن  
طريقه يمكن أيضا بث الوعى فى نفوس الفلاحين بكل

ما يدور فى نفوس الفلاحين حتى تصبح القرية على صلة  
وثيقة بالمدينة وتواكب التطور .

أجاب الرئيس بأسى :

— مع الأسف من الصعب التفاهم معه فى شىء أو فى  
أمر يعود على الفلاحين بالمنفعة وإذا حاولنا يحاول هو  
اقناعنا بأننا ضيوف فى داره ومن حقه اتخاذ أى إجراء  
معنا حتى لو وصل لطردهنا . وكم من مرة حذرنا من  
مساوئء التدخل فى شئوننا الخاصة أو فى أمور تخص  
الوحدة الاجتماعية .

أضاف موظف رابع :

— لا تتعبى نفسك فلن نتمكن من فعل أى شىء . الا  
إذا زال هذا الكابوس الكاتم على أنفاسنا سنوات طويلة .

قطع الحديث أحمد وقال :

— يا حبذا لو أعيد مجد هذا المسرح من ثان على  
يديك فلا شك أننا سنتمكن من عرض المسرحيات التى ترفه  
عن الأهالى فالشباب يعانون من فراغ لا يجد مأوى له حاليا  
سوى المقاهى والجلوس على المصاطب . وهناك البعض  
على قدر كبير من الثقافة والوعى . فى قرينتنا والقرى  
المجاورة فمنهم من يكتب للمسرح وآخر لديه الاستعداد  
التام للإخراج لكن تعوقه عدم توفر الامكانيات .

صمت احمد قليلا ثم واصل الحديث وهو يبتسم :

– كما أنه فى امكاننا أن نقيم فى صالة العرض الافراح والحفلات ويستغل الأجر لتطوير المسرح بالقريه ولصالح المشروعات الخيرية فيما بعد .

ابتسم رئيس المجلس وأضاف موجهها كلامه لأحمد :

– يبدو أنك ترغب فى اقامة فرحك أولا .

ارتسم السرور على وجه المهندس ورد فى قلق :

– بالطبع اتمنى لو يحدث هذا الآن .

سأله الرئيس بخبث وهو ينظر لى .

– هل وجدت العروس ؟

لقى أحمد نظرة فاحصة على ثم ابتسم فى صمت

وقال :

– بالطبع وأتمنى لو توافق وأنا أقيم الفرغ من الغد .

وقفت حائرة لم أهمس بكلمة فكم اتمنى ان يأتى هذا اليوم واشارك أحمد حياته بحلوها ومرها لولا تدخل الظروف الأخيرة التى ظللت حياتنا باللون الرمادى وحجبت عنى رؤيته بوضوح .

قطع الحديث أحد الفلاحين الذى كان بانتظار قضاء

بعض طلباته بالمجلس وقال :

- المسرح كان زمان • صندوق الدنيا الذى كان يدور فى الموالد ونشاهد فيه قصة عزيزة ويونس والاراجوز وخيال الظل والسامر الذى كان يعقد على المصاطب ويستمر حتى مطلع الفجر • اشياء واشياء كانت تتفق مع مزاج الفلاح وميوله لكن التليفزيون الآن اضاع كل شىء جميل وتلاشت الأشياء الحلوة والمفيدة ومع الأسف برامجه قسد تتعارض مع ميولنا ورغباتنا فكل مدة طويلة نشاهد برنامجا ربما يقترب من ميولنا ومضطرون أن نشاهده لعدم وجود بديل •

أجبتة مؤيدة •

أنت على صواب لكن كيف تفكر فى اعادة مجد المسرح القروى ونختار ما يتفق مع ميولنا ورغبات الفلاح والمفروض أن يوجه بالأسلوب الذى يجعلهم يشاركون بأفكارهم ووجدانهم وتمس موضوعاته مشاكلهم وآلامهم •

قال رئيس المجلس :

- نفكر أولا فى كيفية فتح المسرح حتى نتمكن من الرد على الرسالة •

أجبتة على الفور وبحماس :

- يوجد بالدور الأرضى للمبنى حجرة خاصة بجماليات وهى واحدة من المهاجرات • سافرت حاليا للسويس منذ مدة طويلة وهى بلدها التى نزلت منها أثناء الحرب الى

هنا ويبدو أنها عقدت العزم على البقاء فى مسقط رأسها  
اطول وقت ممكن ولذلك أخذت معظم اثارها ولم يتبقى  
سوى القليل ومن الممكن نقل محتويات المسرح بصفة مؤقتة  
واعداده لاستقبال الفرقة .

عقب أحمد قائلاً :

– مفاتيح المخزن مع سمعان بيه ولقد تغيب منذ أيام  
ولا أحد يعلم عنه شيئاً .

اجبته بقلق :

– نعم . لقد أرسلت ساعيه الخصوصى للسؤال عنه  
فى عزبته ولكن لم يرد حتى الآن رغم مضى ثلاثة أيام .

قال عم سيد عامل الوحدة والذى عاد من اجازته  
القصيرة منذ ساعات قليلة .

– سمعان بيه يا ست ليلى محجوز فى مستشفى عين  
شمس التخصصى منذ ان غاب عن الوحدة .

– خير . ماذا حدث ؟

اصيب بأزمة قلبية حادة وهو حالياً فى غرفة الانعاش  
ولا أحد يستطيع الحديث معه .

انتابنى الأسى وقلت لهم جميعاً :

– الواجب يحتم علينا زيارته • نختر من يمثلنا من المجلس والوحدة مع مراعاة تقديم هدية رمزية •

قال موظف بغضب :

– لا – لا يستحق كل هذا وكفى ما فعله بنا •

أضاف فلاح مسن بضيق :

– يا ليته يتوكل على الله ويفارقنا حتى يروق الجو ويحلو وتحل كل المشاكل للفلاحين الفقراء من امثالنا •  
قلت له بانفعال :

– قال الله ولا فالك • المفروض نطلب له الشفاء حتى يعود بالسلامة ونفتح باب المناقشة معه مرة ثانية حول كيفية اعادة مجد المسرح القروي لأنى اعتقد أنه طيب القلب ولكن المرض سبب له ازمة نفسية •

اقتنع بعض الموظفين بكلامى وهم قلة وابدوا استعدادهم فى المشاركة فى شراء الهدية واختيار من يقوم بتقديمها وقالوا وهم يجمعون النقود ويسلمونها للمهندس أحمد :

– نعمل الطيب ونلقى به فى البحر •

تذكرت بعض المستفيدين الذين ما زالوا فى انتظار طلباتهم أمام مكتبى واستأذنت فى الانصراف • استوقفنى رئيس المجلس وقال ••

- فكرى قبل ان تتركينا كيف نرد على رسالة المسرح  
المتنقل • ففرقة النهار المسرحية مجموعة من الهواة ومن  
الشباب المتحمس ولديهم الاستعداد للعطاء الى ما لانهاية  
وفرصنة نستغل مواهبهم فيما يعود على القرية بالفائدة •  
أجبتة وأنا أشير الى فناء الوحدة •

- ما رأيكم فى استغلاله مع بعض التعديلات فلدينا  
المناضد والدكك ومن الممكن تأجير خيمة والكهرباء والحمد  
لله دخلت القرية واذا كانت الاضاءة ضعيفة ندمعها ببعض  
الكلوبات •

عقب الفلاح العجوز بسخرية وقال :

- رينا يستر لأن التيار دائماً يخذعنا وينقطع وقد  
يحدث اثناء العرض •  
أجبتة بثقة :

- نأخذ فى الاعتبار توفير بعض الكلوبات • ثم ان  
هذا مجرد اقتراح واذا اقتنعتم ففكروا فى عمل الدعاية من  
الآن •

واصل أحمد وقال :

- نعلق لافتات فى المبنى وعلى الأسوار الخارجية  
ونطلب من شيخ الزاوية الاعلان فى الميكرفون لكنسى  
أخشى ان يرفض ويشترط تقديم عروضاً للدرأويش :

ضحك الجميع بينما قال رئيس المجلس •

– هذا هو عين الصواب واعتقد ان الكل موافق على  
رأى الأستاذة •

هز الموظفون رؤوسهم علامة الموافقة وقال البعض على  
الفور •

– بالطبع لأننا فى أمس الحاجة للترفيه وكفانا  
حرمان • فالقرية لا يوجد بها حتى نادى شباب أو بيت  
ثقافة •

سألنى الرئيس وأنا أعود للمكتب •

– هل ستشاركين الوفد الذى سيزور المريض •

– أسفة لأننى مشحونة بالعمل مع المستفيدين الذين  
مازالوا ينتظرون بالعشرات رغم انتهاء وقت العمل  
قسىادتك تعلم أنه لا يوجد سواى بالوحدة والسكرتير  
لا يحضر سوى مرة كل أسبوع رغم اننى كنت أتمنى  
القيام بهذا الواجب •

اقترب منى الرئيس وقال هامسا :

– آه لو تعلمين ماذا حدث لك لالقيت بكل شىء فى  
قاع التربة واحتقرت هذا الرجل الذى شاء القدر ان يكون  
رئيسك ارتعدت مفاصلى من الخوف وسألته على الفور :

– ماذا حدث ؟ أرجوك تكلم • لقد شغلتنى كثيرا •

قال هامسا بينما احمد يقف خلفه دون علمه :

– اثناء زيارتى للادارة الاجتماعية صباح أمس  
اللقاء المدير بخصوص التعاون فى مشروعات المجلس بلغنى  
عن طريق غير مباشر خبر هام يخصك •

لاحقته بسرعة قائلة وأنا اقترب منه أكثر :

– ما هو ؟

صمت بعض الوقت ثم قال بحزن :

– صدر قرار وزارى بنقلك الى محافظة الفيوم وأعتقد  
ان سمعان بيه هو الفاعل الأصلى •

ما كاد الرئيس ينهى كلامه حتى شعرت بالأسى وامتلك  
اليأس نفسى وكأنما دوار قد مسنى ولكننى تمسالك  
اعصابى وجمعت ما بقى لى من شجاعة وأجبتسه على  
الفور :

– لقد طلبت ذلك بالفعل •

غادرت المكان على الفور عائدة الى مكتبى وقد سرت  
فى جسدى رعشة من الاحباط بينما احمد سار بخطوات  
سريعة نحو الطريق الزراعى وقد نكس رأسه الى اسفل  
وتغير لون بشرته • لاحظتها تأكدت ان الخبر المؤلم هذا قد  
تسرب الى سمعه •

( ٢٨ )

## حزمة برسيم

فى صباح اليوم حملت بعض الأوراق الـ  
بالمستفيدين والتي فى حاجة ماسة لاستكمال بيانات  
للجمعية الزراعية لمعرفة ما اذا كان هؤلاء يمتلكون  
زراعية أم معدمين . قررت أن أفعل ذلك بنفسى لأ  
أن أرسلت للاستفسار عن طريق البريد فكان الر  
فى وقت متأخر واذا ورد للوحدة بعضها فلا  
وجود خطأ ما أن يكون ختم الجمعية مشوه الملا.  
يبدو للرائى حلقة مفرغه واما ان يكون بدون ن  
الرئيس .

وبينما اخطو نحو الباب الخارجى اذا بى وج  
بأم حسن وهى واحدة من المهاجرات المقيمات فى  
الوحدة الاجتماعية . كانت عائدة من أرض المنحل

بالخضروات وقد جمعت بعض الفجل والجرجير • عندما  
لمحتنى حاولت أن تخفى ما بيدها خلف ظهرها وقد غرقت  
فى بحيرة من الخوف والخجل •

قلت لها لاخفف من معاناتها •

ان ما فعلتیه هو عين الصواب فكل ما زرع فى أرض  
الوحدة من حق سكانها •

أجابت بصوت ضعيف :

– عودان من الخضرة للاولاد •

حاولت أن أغير الموضوع لاخفى خجلها •

– ممكن تدلينى على أسهل طريق يوصلنى للجمعية  
الزراعية •

قالت وهى تشير الى المجلس المحلى :

– طريق القطار هو الحل الوحيد • والمهندس أحمد  
النبي يحرسه وأقف هناك ويعرف السكة •

عندما لمحتنى تقدم بخطوات سريعة نحونا • شعرت  
لحظتها بخوف وانتشاء •

قال بعدما ألقى تحية الصباح :

– أنا فى طريقى لمجلس المدينة واتمنى لو تطلبين  
شيئا من الادارة الاجتماعية •

لاحقته أم حسن قائلة وهى تربت على كتفه •

– الأبله ليلى فى طريقها للجمعية الزراعية وربنا  
يسترها معك توصلها •

انتابنى القلق وهمست :

– اذا اصطحبتنى ساصبح موضع الشبهات ولا داعى  
للاساءة لسمعتى •

• وقفت صامته بعض الوقت حائرة •

اخرجتنى السيدة من شرودى وقالت :

– أحمد طيب وابن حلال وراجل فى المواقف الصعبة  
انهبى معه وتوكلى على الله •

لم أجد الا ان اسير الى جواره حتى محطة (التايوتة)  
ساد بيننا صمت غريب تخلله بعض أصوات الحيوانات  
الذاهبة الى الغيط بصحبة الفلاحين •

• نظر لنا احدهم مشفقاً •

الطريق معطل ( والتايوتة ) لن تمر الآن يمكن بعد  
ساعات • ويوجد حادث على الطريق •

نظر لى أحمد بدهشة وقال :

– فى امكاننا نعبّر الكوبرى للبر الثانى ونأخذ  
القشاش •

القشاش • بالتاكيد لن نصل حتى بعد انتهاء وقت  
العمل •

اعتقد قبل ذلك • ممكن ساعة او ساعتين على  
الأكثر •

كان علينا ان نمشى فى طرقات متعرجة مارين بتلال  
من السباخ وبعض البرك التى انتشرت فى حوض الأرض  
الزراعية والقنايات • واحيانا كانت اقدامنا تغرس فى  
الطين ونهرس بعض النباتات الخضراء الصغيرة التى  
تتطلع للحياة فى زهو • قال المهندس فى همس ونحن نعبر  
تلك الممرات الشائكة •

أنا فى حاجة ماسة لانسانة تفهمنى وتكون على قدر  
من التعليم والوعى •

شردت قليلا وأنا اتجه ببصرى نحو الطريق الزراعى  
حيث محطة القطار الذى كان على بعد امتار قليلة •

اجبته وأنا احاول الهروب :

ـ صببية مليحة تلك التى كانت تقف بجوارك وتهمس  
لك صباح أمس الاول أمام المجلس •

أجاب بضيق وهو يقترب منى :

ـ لقد تعجلت والدتى وخطبت لى ابنة اختها قبل  
وفاتها • وهى تصغرنى بعشر سنوات ورسبت فى الاعدادية

ولا تربطني بها حيلة مودة ولا أشعر نحوها بشيء من  
التفاهم أو الحب وذلك من أجل الميراث أو شيء من هذا  
القبيل .

قلت له لاغير موضوع الحديث :

– يبدو أننا اقتربنا من المحطة .

لم يكثر بكلامى وظل يواصل الحديث وقد اقترب منى  
أكثر وهمس فى أذنى بلطف .

كم تمنيت أن تشاركنى حياتى فتاة اشتاق اليها وتربطنا  
روح واحدة .

اجبته بلهجة سريعة وقد اقشعر جسدى من الخوف فلم  
يكن بجوارنا أو حتى بالقرب منا أحد .

خطيبتك كالقمر وفى امكانك التفاهم معها وذلك اذا  
خصصت لها بعض وقتك فى نزمة مثلا .

أجاب بيأس

– فى الحقيقة التفاهم من أهم اساسيات الحب لكن  
ليس كل شىء فلا بد من شعور خاص ينبع من الأعماق يجعل  
المحب متلهفا لرؤية نصفه الآخر وقد يتعلق ذلك بالروح أو  
الوجدان أو ما شابه ذلك لكن مع الأسف هذا مفقود بيننا .

سبحت قليلا فى نهر أفكارى وهمست فى دهشة .

— لماذا أصبحت أشعر فى الرغبة فى الابتعاد عنه  
وخصوصا عندما علمت بنبا خطوبته من مصدر خارجى رغم  
ان قلبى مازال يخفق عندما أراه وأشعر أن شيئاً هاماً  
ينقصنى اذا غاب عنى .

تمنيت ان ينتهى الطريق وبمجرد أن أغلق عينى  
وافتحها أرى القطار وانتهزت فرصه مرور فلاح يسوق  
حمارا قد اثقل ظهره بحمل من الطماطم الناضجة والتي  
لايقل حجم الواحدة عن حجم التفاحة الكبيرة . نظرت لها  
بشوق وانا اقترب من الحمار . وفى لمح البرق انتقى الفلاح  
بعضها وقال وهو يناولها لى :

— اتفضللى يا ست هانم . يبدو أنك ( غريبة ) عن  
بلدنا .

قال احمد بضيق بعدما انصرف الفلاح وبينما اتذوق  
واحدة :

— الطماطم فى دارنا أحسن من الورد . لو اعرف أنك  
مشتاقة لها كنت ملات لك مشنة .

— أردت فقط ان امزح مع القروى . ناولته بعضها  
وقلت له . .

.. سلى طريقك .

— اعتقد ان سلوكك هذا بغرض الهروب من الحديث

لزمتم الحسنة • سرنا وكاننا غرباء حتى اقتربنا من  
محطة القطار التي بدت مهجورة الا من بعض الفلاحين  
الذين انتظروا بجوار القفف والزكائب التي امتلات بالخضار  
الحجاز والفاكهة • فجأة انطلقت صفارة القطار الكسول  
التي ايقظنا من شرودنا • وفي لمح البصر جذبني من يدي  
وهو يقول :

هيا القطار وصل •



كانت معظم مقاعد القطار خالية • ظل يسير كثعبان  
انقلته وجبة دسمة بعد اقتناص فريسة سميحة ومن ثم راح  
يتارجح زاحفا بين المزارع والحقول في زهو وسرور •  
قلت لأحمد في خوف :

— يبدو أننا لن نصل في وقت العمل وقد اتعرض  
لمتاعب • ربما نجد الجمعية مخلقة او المدير غير موجود  
وتعطل الأبحاث ومصالح الناس •

اجاب مشفقا :

— أنك تحملين نفسك اكثر من طاقتك وهذا ليس من  
اختصاصك والمفروض ان يقوم المستفيد بانهاء كل اجراءات  
البحث وما عليك الا ان تكتشفي ما اذا كان يستحق المعاش  
او المساعدة أم لا •

كلامك فيه كثير من الصواب لكن لم ار مستفيدا حضر  
ومعه شهادة مستوفاة منذ استلامى العمل • حتى طلب  
المساعدة اطلبه بنفسى فى معظم الاحيان فالمستفيد اما أن  
يكون أميا لا يعرف صياغة الطلب • واذ اخطأ احدهم  
واحضر مستندا أو شهادة تكون غير صالحة فلا يوجد توقيع  
المستؤل مثلا أو الختم غير واضح أو مشوه بحجة فقدانه  
أو عدم وجود حبر للختامه •

حاول أحمد أن يخرجنى من دوامة العمل وقال :

— اطلبى من الله الا يعطل القطار فى هذا الطريق الوعر  
فلا يوجد هنا من يقوم بالاصلاح اذا تسرب القسياد الى  
القضبان •

ربنا يستر ونوصل بالسلامة ولو حتى قبل انتهاء وقت  
العمل بقليل •

توقف القطار فجأة • ساد زعر وضوضاء بين الركاب  
الذين كان معظمهم من الفلاحين والقلّة منهم موظفون اكانوا  
متجهين لصالحهم فى المركز •

قال أحدهم فى قرف :

— لم يكن فى نيتى التدريس بمدارس الأرياف • لو  
سمعت كلام خالى وسافرت الى البلاد العربية كان حالى  
أصبح أفضل • ولا شك ان ناظر المدرسة سيسىء فهمى

عندما أصل فى وقت متأخر ويعاقبنى • لا حل الا ان اقيم  
فى فصل من فصول الدراسة بالمدرسة إقامة دائمة مع بعض  
الزملاء المغتربين الذين فضلوا هذا الأسر ولا عذاب كل  
يوم •

لاحقته قروية كانت تسند قفة بيدها حتى لا يسقط منها  
الخضار الطازج الذى ملأها حتى اخرها •

وقالت فى ضيق :

– صحت منذ الصباح الباكر • الفجر اذن • صليت  
وملأت القفة بالخضار وخرجت بسرعة لالحق بالسوق فى  
طلعة النهار لكن السوق الآن شطب وراح تعب النهار • من  
يرعب فى الخضار البائت • لو أنك يا اباحمزة انتظرت  
بجوار أرضك ترعاها كان أفضل من سفرك وكنت حمتنى  
من العذاب وحيرة نفسى على عيالك • منك الله يا بعلى صرخ  
رجل مسن وهو يخبط كفا بكف وقال :

– لا حول ولا قوة الا بالله • لثالث مرة أسافر المركز  
لمقابلة رئيس المدينة • النور مقطوع فى بلدنا باستمرار  
الاسم فقط ان القرية دخلها نور واتعمرت لكن الحقيقة  
مرة •

قلت لأحمد هامة :

– اعتقد ان مثل هذه الشكاوى من اختصاص مجالس  
القرية أولا • وفى امكانك التصرف الآن •

اقترب من الفلاح وهو يبتسم وسأله عن اسمه واسم  
بلدته وهو يربت على كتفه ويوعده بحل مشكلته •

قالت قروية موجهة كلامها للرجل المسن :

– النور دائما يقطع في عزبتنا من ساعة المغرب لوقت  
الفجر حتى التليفزيون أصبح وجوده مثل عدمه • واصل  
الفلاح المسن حديثه وقال :

– المصيبة أنى عاجز عن مقابله لأنه غير موجود  
ولا أعرف له مكانا • أحيانا يفيدنى الموظفون بأنه فى اجتماع  
هام مع المحافظ وأخرى يقولون بأنه سافر مصر لقضاء  
مصالحه •

قلت للرجل مطمئنة وأنا أشير الى أحمد •

المهندس سيبذل المستحيل لحل مشكلتك فى المجلس  
المحلى أولا •

انتفض أحمد واقفا وسار نحو مقدمة القطار التى تبعد  
عن مقاعدنا بخطوات قليلة وقال فى كدر :

– سأبحث عن سبب العطل •

لحق به شاب آخر وغابا عن الانظار •

انتظر الجميع بفارغ الصبر وكل يتنهد بصعوبة ويضرب  
كفا بكف •

بعد قليل عاد احمد ليقول بابتسامة :

— اطمئنوا سيتحرك القطار حالا .

سألته بشغف ساخرة :

— بعد ساعتين من العطلة . لقد أوشك الظهر على الأذان . ثم ما سبب هذا ؟

قال الشاب الذي كان بحسبة احمد فى غيظ :

— السائق بسلامته كان يجمع أكل الأرناب من الغيظ .  
لقد عاد وهو يحمل حزمة من البرسيم .

عقبت فلاحه شابة كانت تحمل طفلها الرضيع ويبدو أنه مصاب بالرمد حيث كانت تضع عصابة على عينيه ومن الحين والآخر تقطر له بعض اللابن من ثديها .

قالت فى حزن :

— هذا السائق من بلد اختى وأنا اعرفه . دائما يعطل القطار مرة او مرتين فى المشوار . مرة يحش أكل الارانب واخرى يوصله لداره على الطريق الزراعى .

قال الرجل المسن فى أسف :

— ( اللى اختشوا ماتوا يا اولاد ) .

( ٢٩ )

## القرار

فى صباح اليوم حمل لى عم على حقائبى واتجهنا حيث  
محطة القطار • كان يمضى بخطوات وتيدة • ويتحدث  
بصوت خافت لا يسمعه سوى حفيف الغصون وهمس  
الفرشات للزهور •

قال بنبرة حزن :

— لولا وجود هذا الغول لما حدثت تلك الكارثة • تقصد  
من ؟

رئيس الوحدة الاجتماعية • ربنا أوقعه فى شر أعماله •

ينبغى الا نياس من رحمة الله وربما أجسد فى الأرض  
الجديدة خيرا • ويجب أن ندعوه بالشفاء •

— يجعل لك فى كل خطوة سلامة •

ما زالت صور العشرات من المستفيدين ترقص أما  
وتشعرنى بالدوار • فهذا يطلب معونة شتاء وذلك م  
عجز وأخرى أرملة ذات اطفال ورابعة مسنة لها مع  
وغيرهم • ترى هل سيجدون من يدلهم أو من يمد  
الرحمة؟! هؤلاء الذين قست عليهم الظروف وطحنهم  
بآلة القهر الفولاذية أم يبقون هكذا تظلمهم سحابة من الع  
ربت العامل على كتفى بينما معالم الوحدة تتلاشى با  
وتختفى تحت فروع الاشجار العالية التى كادت تغط  
الوكر العتيق لتخفى فى جوفه الحشرات السامة •

وصلنا المحطة • قلت له بامتنان :

– أشكرك على شعورك النبيل وأرجو أن تعود  
حتى لا تتعرض للأذى •

أجاب بابتسامة حزينة :

– أطمئنى • حصلت على أجازة وسأزور اولاد  
الجيزة •

تسربت الراحة الى نفسى وقلت له :

– من النادر وجود مثلك فى هذا الزمن الردى،

أجاب بحنان الأب العطوف :

– اعتبرك فى منزلة ابنتى ورغم أنه لم يمض

وجودى معك بالوحدة سوى شهور قليلة الا اننى كنت اشعر  
بالآلام التى كنت تعانيين منها •

اجبته وكلى رغبة فى ان أطبع قبلة حب وتقدير على  
جبهته :

– ولذلك كنت تقف بجوارى وتحمل عنى الكثير •

قال وهو يتجه ببصره الى السماء :

– ربنا يعوض صبرك خيرا •

سألته بياس :

– وهل تعتقد اننى سأجد فى الأرض الجديدة خيرا ؟

أجاب ببسمة أمل :

– ثقى فى الله ولا تيأسى من رحمته وما دمت لعمل  
الخير فتأكدى أنه معك ولن يخذلك أبدا •

اسكتنا صوت القطار بصفيره العالى • اخذت مكانى  
بجوار عم على بينما اتجهت ببصرى نحو المزارع والحقول  
لألقى اطلالة سريعة على ملامح القرية التى كانت تبتعد  
بالتدريج ودار بفكرى شريط الذكريات •

قطع شرودى عم على وقال :

– فيم تفكرين يا ست ليلى ؟

أحبته وكانما أزيح كابوس الأمس المؤلم :  
شعرت لحظتها بالدوار وتمنيت لو أصبح مجرماً ولو

– أليس من حقى أن أنقل للمدينة حيث عائلتى وكفانى  
ما عانيت من متاعب كادت أن تؤدى بى الى الهاوية؟! فلا  
تتوافر لنا الامكانيات التى تشعرنا بأدميتنا وتحفزنا على  
العمل باخلاص لرعاية من هم فى أمس الحاجة للخدمة  
لكن لا فائدة حتى ولو صرخت بأعلى صسوتى • ستظل  
القرارات الجوفاء تثقلنا بالقيود •

قال عم على بدهشة :

– لقد ذهلت عندما استدعانى الرئيس ظهر أمس وقال  
وهو يسلمنى السركى •

– لقد صدر قرار وزارى بنقل الاخصائية ليلى الى  
محافظة الفيوم وأرجو أن تسلمها صورة منه وتخبرها  
بضرورة التنفيذ فى أقرب وقت وليكن صباح الغد • تنهد  
العامل بصعوبة وواصل الحديث • بالطبع لم أصدق  
ما قاله :

وسألته على الفور :

– ما سبب هذا النقل المفجائى ؟

أجاب بعصبية :

– هذه أوامر المسئولين ياغبى •

مرة وحيدة فى حياتى وارىح المتعبين من طغيان هذا الغول  
الذى رغم مرضه الخطير لكنه لا يعرف الرحمة .

– لا تشغل بالك أنا التى طلبت نقلى ولكن لحافضة  
القاهرة .

كان فى امكانه ان يمنع هذا من أجل مصلحة العمل  
فالوحدة الاجتماعية التى تخدم اربع قرى وكل منها فى امس  
الحاجة الى اخصائية مثلك .

لا ينبغى الا نظلّمه والحمد لله ان القرار صدر فى الوقت  
المناسب .

الشيء الذى يحيرنى أنك لم تتقدمى بمظلمة للوزارة  
احتجاجا على هذا القرار .

– بالطبع فعلت . ففى صباح اليوم الذى وصل فيه  
الخطاب اى منذ بضعة أيام وكنت قد علمت عن طريق غير  
مباشر .

توجهت لأحد المسئولين بالمديرية وعندما علم سسبب  
مجيئى قال .

– نقلناك لحافضة جميلة وتم اختيارك رئيسة وحيدة  
اجتماعية واعتقد ان الفيوم من المحافظات النموذجية .  
لحظتها على الدم فى عروقى وقلت له بغيظ :

ـ سبق ان قيل لى قبل التحاقى بالعمل فى مركز العياط  
اذنى ساعمل فى وحدة نموذجية وها أنا قد عانيت من مدة  
اقامتى بالقرية التى قد عملت بها بالاضافة الى عدم شعورى  
باداء رسالتى كما ينبغى ثم ما قيمة نقلى لمكان آخر مادمت  
لم اقدم شيئاً ذا قيمة .

كان عم على مازال مشفقاً لكلامى وفى شوق لمعرفة  
ما حدث بالتفصيل وكأنه يبحث عن مخرج لتصحيح ما حدث  
من خطأ ومن ثم قال :

ـ اكملى يا ست هانم .

بالمطبع لم اکتف بالاحاديث شفويا فقط واخرجت ورقة  
كنت احتفظ بها فى حقيبتى وسألته ان يقرأ محتواها .

لقى نظرة سريعة وقال بلا مبالاة :

يسند الى الاخصائية لى الصاوى الاشراف على مشغل  
الفتيات والنادى النسائى ومحو الامية وبقى المشروعات  
الحيوية بالوحدة بالاضافة لعملها .

التوقيع

رئيس المجلس القروى

وبعد ان فرغ من القراءة ناولنى المكتوب وقال بأسف :

فى امكانك الاتصال بوكيل الوزارة المسئول لأن الأمر  
خرج من يدي .

قلت له بغیظ :

— كل ما فعلته بشأن هذه المشروعات يتضمن التوعية فقط وباليتمتها كانت شاملة ولم أبدا بعد فى تشغيل احداها .

— لو كنت أملك اعادةك لمواصلة المسيرة لفعلت لكن القرار صدر من الوزارة رأسا .

قطع الحديث عم على وسألنى بلهفة :

— هل ذهبت للوزارة وقابلت المسئول ؟

— بالطبع لأن صور المستفيدين الذين كانوا يتوافدون على مكنتى معتقدين أننى احضرت قيمة المساعدات .

علامات الفقر المرتسمة على وجوههم • الدموع المحبوسة فى عيونهم • الضربات السريعة فى قلوبهم نتيجة للمرض وهم يتنفسون بصعوبة • أقدامهم العارية والمليئة بالقشيف نتيجة قطع المسافات الطويلة سيرا على الأقدام

ملايسهم الرثة كل ذلك بعث فى نفسى الرغبة الشديدة فى أن أقدم التماسا لوكيل الوزارة المسئول ، شرحت فيه وجهه نظرى واصرارى على البقاء فى نفس المكان الذى اعمل فيه حاليا .

وهل اقتنع الوكيل بكلامك ؟

قال بابتسامة خبيثة :

— الفيوم محافظة جميلة وستجدين فيها كل ماترغبين  
من سكن ومأكل ومعاملة طيبة وستعملين فى اماكن نموذجية  
ولن تواجهى اية صعوبات اخرى .

بالطبع كدت ان اصرخ فى وجهه لأن ما قاله ليس هو  
المطلوب وقد شرحت وجهة نظرى البعيدة جدا عن الماكل  
والملبس والمنصب وكدت أن أقول له بأعلى صوتى .

— ارجوك . لا تقل نموذجية .

وعندما شعر المدير بحالة ضيق واننى انفجر من الغيظ  
قال على الفور مهدئا :

— يبدو أنك فى حالة قلق . وربما فى نفسك شىء  
غامض . هل لديك مشاكل عائلية أو عاطفية . اعتبرينى  
طبيبك النفسى ومثل والدك واشرحى لى ما يضايقك .

وخوفا من زيادة حدة انفعالى وحتى لا اصاب بانهيار  
فجائى قلت له وأنا اتاهب للانصراف :

— أشكرك على شعورك النبيل ازاء مشساكلى التى  
لا وجود لها . وغادرت المكان وأنا اتنفس بعمق .

كان عم على يصغى لى باهتمام والدموع فى عينيه ثم  
قال بأسف :

— هذا يعنى ضياع الأمل . منه الله الذى كان السبب .

الدنيا بخير والبركة في الناس المخلصين والطيبين من  
أمثالك .

وقف القطار في إحدى المحطات . صعدت امرأة ترتدى  
ملابس رثة وكانت تحمل طفلاً شبه عار وتجر خلفها آخر قد  
شوه الغبار ملامحه وكان هو الآخر يرتدى ما يستر عورته  
في عز البرد . راحت السيدة تستدر عطف الركاب بمواويلها  
الحزينة والمؤثرة وتشرح مأساتها حتى يعطف عليها أصحاب  
القلوب الرحيمة . ناولتها بعض النقود .

قال عم على وهو يتجه نحوها ببصره :

ـ يا سلام على قلبك الطيب يا ست ليلي .

سادت فترة صمت . سبحت في الأوس القريب بينما  
العامل راح يواصل الحديث .

الغريب ان هذه المرأة كانت تصرف مساعدة من الوحدة  
ثم اختفت منذ شهور ولم نستدل لها على طريق .  
افقت على ما سمعت وسألته على الفور :  
ـ هل لها عائل ؟

لقد توفي زوجها الفلاح الأجير بطلق نارى فى إحدى  
الافراح بالقرية وبطريق الخطأ وهى الآن لا حول لها ولا قوة  
لم يعد لها عائل يحميها من نكبات الدهر .  
سألته بدهشة :

– أليس لها اقارب بالقرية ؟

– يقال انها حضرت الى القرية بصحبة زوجها من الصحراء وربما كانا من قبائل العرب . شرفت قريتنا بهما منذ سنوات واستقرا وانجبا أبناءهما بها وعطف عليهما اهل الخير حتى الدار التي كانوا يعيشون فيها تبرع بها احد اعيان البلد .

حاول البحث عنها تكسب ثوابا ومدد لها يد العون .

– لا تنسى ان المبالغ التي تصرف من الوحدة قليلة ولا تكفى حتى قوت طفل رضيع .

اتفق معك فى ذلك ولكن شيئا افضل من لا شيء .  
سألنى ليخرجنى من سحابة الحزن التي احاطت بى :  
– هل تعلمين ماذا حدث للمهندس ؟  
أجبتة بلهجة سريعة :  
– من . أحمد .

ذهبت بفكرى للامس القريب وقد سرت رعشة فى كيانى ممزوجة بالخوف والأمل المقهور الذى لم يجد الأرض الخصبة لينمو فى احضانها ودار شريط من الذكريات . حديث المهندس عن الفلاحين المظلومين وسوء معاملة الرئيس للمستفيدين . وفاة والديه بعدما تركا له عدة أفدنة ليرعاها وأيضا أكثر من دار فى القرية وعمارة فى المركز .

قربه منى ورغبته فى الاقتران • لكننى كنت دائما بعيدة عنه وخصوصا عندما اكتشفت خطبته بقرييته •

ورغم انه كان من الممكن ان يعيش سلطان زمانه فى أحضان أرضه المنتظرة سواعده الا أنه لم يستطع التأقلم فى هذا الجو الكئيب • كان يرغب فى التغير السريع ومحاربة الشر الكاتم انفاس المكورين واعتقد اننى جنئت لشاركه فى كل ذلك لكن الشر كان قد غرس بذرتة فى جوف الأرض ونمت وترعرعت بل وأثمرت •

ولكنه لم يقدر على الصمت •

سألنى عم على ليخرجنى من شرودى :

– فيم تفكرين يا ست ليلى ؟

سألته بلهفة واشتياق :

– ماذا حدث للمهندس ؟ لم أراه منذ أسبوع ولم أسمع عنه شيئا • فقد اختفى فى لمح البرق • وكأنما ابتلعتة الأرض •

أجاب عم على بحزن :

– اختفى من يوم الحديد عن المسرح وفرقة النهار والصعوبات التى وجدتها ولم تتمكن من العرض • ويقال انه سافر للخارج حيث يقيم فى أوروبا • فلقد شاهده البعض وهو يحمل حقيبة السفر الكبيرة ذات صباح باكر ويتجه لمحطة القطار •

همست لنفسى فى ضيق :

– مسكين • لقد فقد القدرة على المقاومة والاستمرار  
فى هذا الواقع الرديء وخصوصا بعد ضياع الأمل الذى  
كان يجده فى شخصى • لكن هل هانت عليه أرضه وداره ؟  
ربما كان سيبقى لو مددت له يدى ومنحته بعض الرعاية  
والحنان لكن كيف لم تمهلنى الاقدار •

قلت لعم على بخبث •

– ربما تزوج خطيبته وسافر •

– لا يا ست ليلى • لقد حضرت خطيبته بعد اختفائه  
بأيام وسألت عنه فى المجلس من باب الاطمئنان •

رحل بدون وداعها •

– لقد أنهى الخطوبة قبل سفره وكانت المسكينة تبكى  
بحرقة •

وصل القطار المحطة التى من المفروض ان يهبط فيها  
العامل ويتجه الى بيته لكنه ظل صامتا • حائرا •

سألته وأنا أربت على كتفه •

– هيا قبل ان يتحرك القطار •

قال وهو يمسك يدى بحنان الأب :

– ارسلنى لنا حتى نطمئن عليك •

– بكل تأكيد ولا تنس ان تبلغ سلامى للأولاد .

واصل القطار طريقه وسط ضوضاء الشوارع الكبيرة والمزدحمة بالعربات والأتوبيسات وتغطى الجو بسحابات من الغبار المطرود من شرقات المصانع والشركات بينما لم يعد للخضرة مكان ولا للحقول مأوى فى هذا الجو المميت .

ألقيت نظرة عميقة على معالم القاهرة بعدما غادرت المحطة . الناس هنا ليسوا احسن حالا من أهل الريف كلاهما يعانى والفرق فى نوع المعاناة . هناك الهدوء والسكن المريح والمتوفر وهنا الزحام والضجيج وأزمة المواصلات والسكن أيضا . هناك الأمية منتشرة والجهل كانتشار النحل فى الحقول وهنا . . اخرجنى من شرودى وشد انتباهى رجل مسن . كان يعدو وراء الأتوبيس ليلحق به لكن لم يساعده الحظ لأن الباب الخلفى للسيارة كان مكتظا بالركاب لدرجة يصعب معها تمييز الرجال عن النساء . وما هى الا لحظات حتى سقط العجوز تحت عجلة السيارة الخلفية . أصابنى دوار عندما تخيلت أن الرجل قد رحل عن عالمنا وقد تهشم جسمه وتمزق اربا وغطت دماؤه الطريق . اسندت رأسى على جدار الرصيف وافقت بعد قليل لأجد بعض المارة قد نقلوا الرجل المسن بالقرب منى وراحوا ينثرون على وجهه بعض العطر وصاح أحدهم وهو يجس النبض :

– الحمد لله . ما زال على قيد الحياة .



١٠٥	.	.	.	.	.	.	.	شيخ البلد
١٠٩	.	.	.	.	.	.	.	الفتاتان
١١٥	.	.	.	.	.	.	.	المفتش
١٢٣	.	.	.	.	.	.	.	الحل فى التوعية
١٣٣	.	.	.	.	.	.	.	الحرامى
١٣٧	.	.	.	.	.	.	.	نادى الطفل
١٥٢	.	.	.	.	.	.	.	الثعبان
١٦٣	.	.	.	.	.	.	.	الحريق
١٧١	.	.	.	.	.	.	.	عامل النظافة
١٧٨	.	.	.	.	.	.	.	المدرسات فى القفص
١٨٥	.	.	.	.	.	.	.	اختفاء المدرسة
٢٠٣	.	.	.	.	.	.	.	حالة كشف
٢١٢	.	.	.	.	.	.	.	قلق
٢١٦	.	.	.	.	.	.	.	السيخان المفقود
٢٢٣	.	.	.	.	.	.	.	شكوى
٢٤٣	.	.	.	.	.	.	.	المسرح المهجور
٢٥٤	.	.	.	.	.	.	.	حزمة برسيم
٢٦٥	.	.	.	.	.	.	.	القرار

رقم الايداع ١٩٩٣/٩٤٧٨

---

الترقيم الدولي 3 — 3545 — 01 — 977 I.S.B.N.

---

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



المستطفي دقة هذا الكتاب وخصوصاً في  
معرض التفاصيل الواقعية الصالحة التي  
أوردتها مما يشكل دعماً لادعائها ويتضمن دعوى  
اصالة من في أثناء الحاجة إليها  
محمّد محفوظ

الكتاب القادم

في المعرفة المسيحية  
أمين بكر